قريشا . . .

جمال شاهين


منشورات المكتبة الخاصة

قريتنا ...

روايات

قلب الوطن

١

جمال شاهين

٢٠١٨

منشورات المكتبة الخاصة

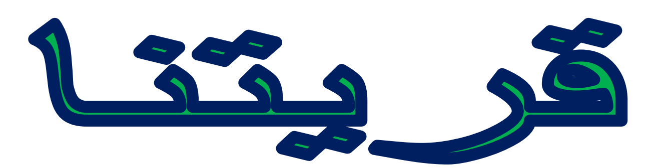
٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات قلب الوطن

جمال شاهين

قريتنا ...

جمال شاهين



تسليم بيت المقدس

قبل أن نولد كان هذا الحدث ، مساء السبت ٨/ كانون الاول/ ١٩١٧ بعث متصرف القدس العثماني عزت بك وراء مفتي القدس السيد كامل الحسيني ورئيس بلديتها السيد حسني سليم الحسيني ، وخاطبهما عزت بك بقوله: "لابد أن تسقط القدس بيد الإنجليز الذين أحاطت جنودهم المدينة، أنا سأترك المدينة بعد نصف ساعة ، وسألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم أي تسليمي المدينة للفاتحين"

قد كتب متصرف القدس وثيقة التسليم: "إلى القادة الإنجليزية : منذ يومين والنابل تتساقط على مدينة القدس في كل لحظة، ورغبة من الحكومة العثمانية في المحافظة على المدينة وبخاصة الأماكن المقدسة ككنيسة القيامة والمسجد الأقصى ، وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه . ويحمل هذه الرسالة رئيس بلدية القدس ، متصرف القدس"

وفي صباح يوم الأحد ٩/ ١٢/ ١٩١٧ خرج رئيس بلدية القدس ومفتشا الشرطة عبد القادر العلي وأحمد شريف وفريق من الشبان وهم يحملون العلم الأبيض إشارة للتسليم ، وسلم رئيس البلدية وثيقة التسليم للقائد الإنجليزي، ورحل الجيش العثماني عن المدينة وتحصنت القوات العثمانية في جبل الزيتون ، وحاولوا بعد ذلك دخول القدس عدة مرات ولكنهم فشلوا لقد انتصر الجنرال اللنبي على القوات العثمانية ومعها الدعم الألماني في معركة فاصلة غربي القدس في ٩/ ١٢/ ١٩١٧ وتوجه نحو المدينة المقدسة على صهوة حصانه ، وما كاد يقترب من سورها حتى ترجل وسار نحو حشد من أبناء المدينة خرجوا للترحيب به؟!

ثم أذاع الجنرال إدموند اللنبي بياناً إلى سكان المقدس أوضح بعضاً من نوايا هذه السيطرة الغربية الحاملة للأحقاد التاريخية والأطماع الحديثة :إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي أدى إلى احتلال لمدينتكم من قبل جيوشي، وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا النبأ أعلن الأحكام

العرفية ، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة صور حربية؛ ولئلا ينالكم الجزع كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا، أريد أن أخبركم أنني أرغب في أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون دون أن يخشى أي تدخل من قبل أي كان وفضلاً عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاثة الكبرى، وترابها مقدس في نظر الحجاج المعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث منذ قرون أجيال ، أود أن أحيطكم علماً بأن كل بناء مقدس، أو نصب أو معبد أو مقام أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل، وإلى أي طائفة من الطوائف الثلاث، سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادة المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطائفة التي تملكها.

وفي ١١/ ١٢/ ١٩١٧ خطب الجنرال اللنبي أمام حشد كبير من أعيان القدس وقراها، وساد الحضور وجوم عارم بسبب ما أشار إليه عن الحروب الصليبية وخاصة عندما قال جملته المشهورة "الآن انتهت الحروب الصليبية". وقد أثارت هذه الغطرسة والروح الصليبية استياء العرب والمسلمين ، فغادر مفتي القدس الشيخ كامل الحسيني الحفل وتبعه كبار المدعوين العرب دون أن يصافحوا المحتفى به.

دافع العثمانيون عن القدس بكل قوة وبسالة وبقي أمر دخولها سرا عدة أيام ثم دخلها اللنبي وبيكو والبعثات العسكرية الانجليزية والفرنسية والايطالية وكان الاحتفال بسيطا وسريعا لم يستغرق ساعة فإن الحرب لم تكن انتهت في الشام وقد فرح النصارى بهذا النصر في أنحاء العالم

الاحتلال البريطاني

وفي خضم الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)، وبإيعاز من الألمان الذين طالبوا حلفاءهم الأتراك بالدخول إلى مصر انطلاقا من فلسطين لإشغال الإنجليز وإبعادهم عن مضيق الدردنيل، انطلقت هذه الحملة التركية الأولى بالفعل في كانون الثاني ١٩١٥، لكن تمركز الإنجليز خلف قناة السويس ودفاعاتهم القوية ألحقت بالأتراك هزيمة ثقيلة خلفت ١٣٠٠ قتيلا، فضلا عن الجرحى وخسائر الإبل التي نفقت بسبب الحر والتعب.

فشل الأتراك في حملتهم الأولى، وأخذوا يتأهبون للقيام بحملة ثانية، ومدوا السكك الحديدية، واستخدموا عددا كبيرا من الجنود عمالا لهذه الغاية، وعهدوا بهذه الأعمال كلها إلى قيادة الصحراء التي وضعت كلها تحت إمرة القائد الألماني فون كرس بك، وعلى الجانب الآخر كان الإنجليز بفضل مخابراتهم وجواسيسهم على علم ودراية تامة بما يقوم به الأتراك والألمان.

انطلقت الحملة التركية الثانية في نيسان ١٩١٦، لكنها للمرة الثانية لاقت هزيمة كبيرة بفضل مدفعية الإنجليز وتمركزهم القوي خلف خطوط القناة، وخسر الأتراك ألف قتيل وأسر ثلاثة آلاف من جندهم ، وكانت هذه الهزيمة التالية سببا وجيها لتشجع الإنجليز على بدء الهجوم وإصدار الأوامر باحتلال فلسطين، حين علم الأتراك والألمان بنية البريطانيين بالزحف صوب فلسطين، قرروا المواجهة والدفاع لآخر نفس، وبدأت أولى معارك فلسطين يوم ٢٧ آذار ١٩١٧، والثانية في ١٩ نيسان من العام نفسه حين هاجم الإنجليز غزة، لكنهم فشلوا فشلا ذريعا في الهجومين مما اضطرهم إلى الانسحاب.

عندما تولى لويد جورج رئاسة وزراء بريطانيا في نهاية ١٩١٦، بدأ طالع بريطانيا في الشرق يتجه نحو التحسّن، فقد تلقى البريطانيون خطأ حكومة الهند البريطانية في زحفها الفاشل على بغداد سنة ١٩١٥ والذي انتهى في ربيع ١٩١٦ بهزيمة واستسلام الجيش الهندي البريطاني في كوت العمارة.

وتسببت هذه الهزيمة في عملية تطهير شاملة في جسد الإدارة البريطانية العسكرية والمدنية،

وتعيين قائد جديد للجيش الهندي هو الجنرال ستانلي مود، الذي استولى في نهاية المطاف على بغداد يوم ١١ آذار ١٩١٧. فتح هذا النجاح في بلاد الرافدين شهية رئيس الوزراء البريطاني الجديد، فقرر تعيين قائد عسكري في مصر مشهود له بالكفاءة هو الجنرال إدموند اللنبي، وكلفه بمهمة محددة هي غزو فلسطين واحتلال القدس قبل عيد الميلاد في نهاية سنة ١٩١٧.

اعتمد اللنبي على الكولونيل ريتشارد ماينرتزهاغن الذي عيّنه رئيسا للمخابرات العسكرية، وراح يستقصي أخبار الجيوش العثمانية في فلسطين وسوريا التي كانت تحت إمرة جمال باشا، اللنبي اعتمد على القبائل العربية الثائرة ضد حكم العثماني ، ولورنس الذي أثبت أهمية العرب في مساعدة البريطانيين ، لا سيما بعد الاستيلاء على ميناء العقبة، وإمكانية رسو الأسطول البريطاني في هذا الميناء ليكون منطلقا للحملة البريطانية المقبلة لغزو فلسطين وسوريا.

كانت بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية قد اتفقت على تقسيم بلاد الشام والعراق بينهم في اتفاقية استعمارية سميت سايكس–بيكو السرية في ١٦ أيار ١٩١٦ بين الأطراف الثلاثة. جرى الاتفاق على أن تكون منطقة فلسطين من بئر السبع جنوباً إلى عكا شمالاً تقريباً منطقةً دوليةً مراعاةً لروسيا، ولكن بعد انتهاء الحرب عَدَلَتْ بريطانيا عن هذا البند من الاتفاقية فقد أرادت إنشاء معبرٍ أرضيٍّ متصلٍ بين الخليج العربي وميناء حيفا، فضلاً عن هدفها تأسيسَ دولةٍ صهيونيةٍ في فلسطين، كان الجنرال اللنبي قد تولى القيادة خلفا للجنرال موري، فقام بإصلاحات كبيرة في بنية الجيش البريطاني في مصر، بدءا من تحسين نشاط جهاز المخابرات العسكرية، مرورا بتسلمه مدافع وآلات ميكانيكية جديدة وذخائر وعتاد أقوى وأفضل من ذي قبل ، وشرع في تنسيق القيادة، وضاعف الجهود التي سبقت لمد الأنابيب وجر مياه النيل في صحراء سيناء، ومد السكك الحديد حتى وصلت بالفعل إلى دير البلح في غزة، واتخذ من مدينة القنطرة في بورسعيد مركزا لتموين جيشه بدلا من الإسكندرية الأبعد.

في المقابل، عقد الأتراك مجلس حرب بقيادة القائد العام أنور باشا، وقادة جيوش القفقاس والجيش الثاني والرابع بقيادة جمال باشا والسادس وغيرهم، ولم ينته هذا المجلس إلى قرار حاسم

.وبسبب هذا التخبط والتبدلات في القيادة ، كانت أحوال الجيش التركي تسير من سيئ إلى أسوأ، وكان الجوع يلازم الكثير من الجنود في تلك الأحيان ، بدأ الإنجليز في زحفهم صوب القدس، فاحتلوا بسهولة بئر السبع يوم ٣١ تشرين الأول ١٩١٧، وفي تشرين الثاني من العام ذاته احتلوا غزة، ثم انطلقوا صوب يافا والرملة واحتلوهما بسهولة أيضا، بعد ذلك قرر الجنرال النبي الزحف صوب القدس.

حاول الأتراك مقاومة تقدم الجيش البريطاني وقطع الطريق بكل السبل الممكنة، فأفلحوا في بداية الأمر، أمر اللنبي جنوده بالثبات حتى تأتيهم الكتائب الجديدة والمدافع الجديدة التي طلبها. وفي الأول من كانون الأول ١٩١٧ وقعت معركة صغيرة بين الفريقين في قرية شلتا هزم فيها الأتراك، وكانت هذه الهزيمة ذات تأثير معنوي ثقيل مكّن البريطانيين بعد ذلك من التقدم صوب القدس بسهولة. وحين أيقن المتصرف التركي عزت بك أن القدس لا محالة واقعة لانهيار المقاومة، طلب الاجتماع بمفتي القدس كامل أفندي الحسيني ورئيس البلدية حسين سليم أفندي الحسيني، واتفق الجميع على الاستسلام حفاظا على الأماكن المقدسة في المدينة، شريطة احترام الإنجليز الذين قبلوا هذا الأمر.

دخلت القوات البريطانية بقيادة الجنرال النبي مدينة القدس يوم ١١ كانون الأول ١٩١٧ محتلةً المدينة التي ظل العثمانيون يسيطرون عليها مدة ٤٠٠ سنة كاملة (١٥١٧- ١٩١٧)، وهناك أعلن لنبي بيانه الأول الشهير الذي فرض فيه الأحكام العرفية، وطالب الناس بمباشرة أعمالهم دون أي إضراب واحترام الخصوصية الدينية لمدينة القدس وأماكنها المقدسة

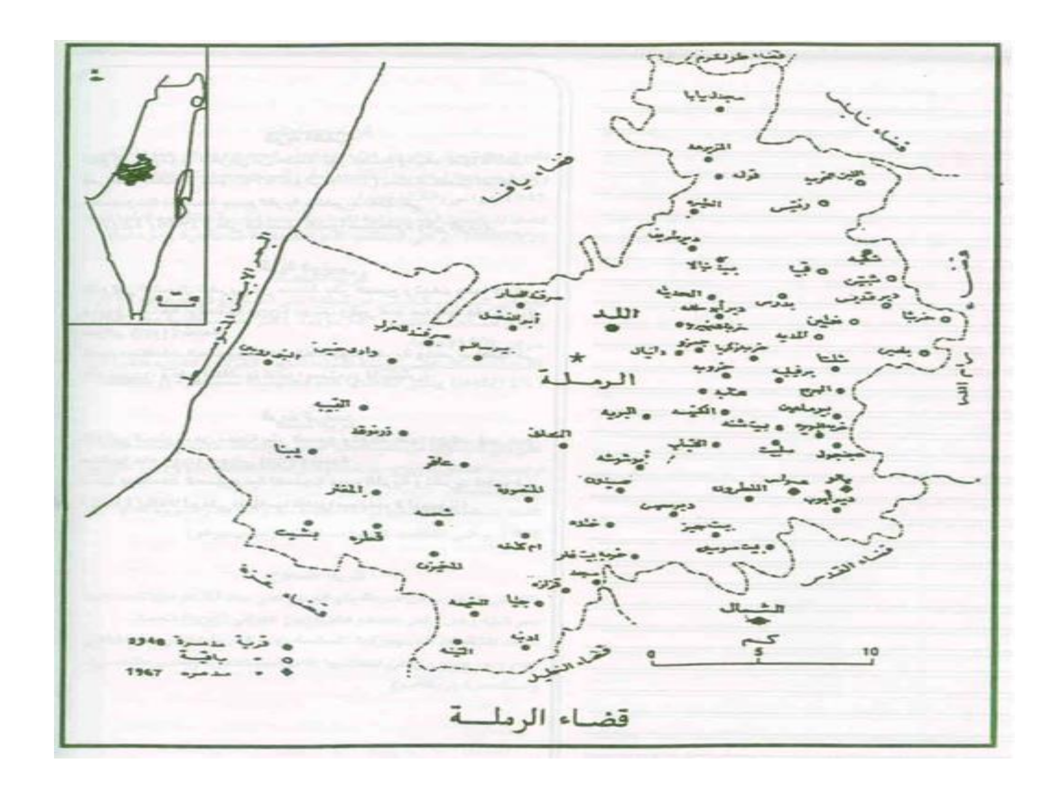
أوضح اللنبي لممثل فرنسا فرانسوا جورج بيكو أن المدينة واقعة ضمن المنطقة العسكرية، وأن السلطة فيها محصورة في القائد العسكري، وقال إنه بصفته القائد العسكري سيُقرر مدة بقاء المنطقة تحت الإدارة العسكرية حصرا. وأضاف لنبي أنه لن يسمح بإقامة إدارة مدنية إلا عندما يسمح الوضع العسكري بذلك، وحتى ذلك الحين تبقى مسألة اتفاقية سايكس بيكو والتصرف النهائي بشأن فلسطين مؤجلةً.

فرح رئيس الوزراء البريطاني لويد فرحا كبيرا بسقوط القدس في مناسبة عيد الميلاد، وكتب في مذكراته أنه استطاع تحرير أقدس مدينة في العالم، و"أنه بتحريرها تمكن العالم المسيحي من استرداد أماكنه المقدسة." وهكذا كان احتلال بريطانيا للقدس في نظر رئيس وزرائها مهمة صليبية مقدسة أعاد تكرارها في الربع الأول من القرن العشرين، بعد انقضاء زمن الحروب الصليبية في العصور الوسطى بأكثر من ثمانية قرون.

احتلت القوات البريطانية القادمة من مصر القسم الجنوبي من فلسطين من الدولة العثمانية، وفرضت عليها حكماً عسكرياً ، دخل قائد القوات البريطانية الجنرال إدموند لنبي مدينة القدس من باب يافا ، أثار ذلك مشاعر الابتهاج في أوروبا وأمريكا إذ وقعت القدس لأول مرةٍ تحت سيطرة الأوربيين من تشرين الأول ١١٨٧ بعد تحريرها من الصليبيين على يد صلاح الدين الأيوبي

أصرّت الحكومة البريطانية وكان ونستون تشرشل فيها وزيراً للمستعمرات على عصبة الأمم على إدراج تصريح بلفور في صك الانتداب على فلسطين لتصبحَ السياسةُ البريطانيةُ في فلسطين الداعمةُ للهجرةِ اليهوديةِ تحت غطاءٍ دولي، وعيّنت أول مندوبٍ سامٍ لها هربرت صموئيل الوزير البريطاني واليهودي الذي دخل ابنه القدس متطوعاً مع الفيلق اليهودي في حملة الجنرال اللنبي . لاحظ رونالد ستورس أولُ حاكمٍ للقدسِ ما بين ١٧-١٩٢٦ هذا التحيز الواضح وكتب في مذكراته:" لقد خرقت الإدارة العسكرية مبدأ "الوضع الراهن" في المسألة الصهيونية ، كانت فلسطين ولاية تابعة للدولة العثمانية المسلمة وكانت غالبية سكانها من العرب، وفي ظل سياسة "الوضع الراهن" كان علينا -بل كنا نتلقى تعليماتٍ- أن نقول للراغبين في إدخال تغييراتٍ سريعةٍ إننا مجرد "إدارةٍ عسكريةٍ" ولسنا منظمين مدنيين ، وكان علينا أن ندير البلاد كما نفعل وندير مصر أو غيرها من البلاد ذات الأقليات المهمة مستخدمين الإنجليزية كلغةٍ رسميةٍ وتقديم ترجمةٍ عربيةٍ مع معاملة المقيمين اليهود والأرمن والأوربيين وغيرهم على النحو الذي نعاملهم به في مصر.

فقد طبع الإعلان الأول للجنرال لنبي بالإنجليزية والعبرية والعربية، وكذلك الأوامر الصادرة مني، واستخدمتْ العبرية في لافتات الإدارة الحكومية، وما لبث أن أضيفت على عجلٍ على إيصالات البلدية والإيصالات الرسمية الأخرى، وقمنا بتعيين موظفين ومترجمين يهود في مكاتبنا. وقد واجهت "إدارة أراضي العدو المحتلة" نقداً شديداً على هذا الخرق الواضح للوضع الراهن داخل وخارج فلسطين.



الحركة الوطنية الفلسطينية

المسيرة الوطنية الفلسطينية الممتدة من سنة ١٩١٨، كانت جزءاً من الحركة العربية السورية، وقد كان بعض أعيان فلسطين ووجهائها منتمين إلى مختلف المنظمات والنوادي والأحزاب السورية العربية التي كانت تعمل على تحقيق استقلال سورية الكبرى وفصلها عن الدولة العثمانية ، وقد هبت المنظمات والنوادي في عامي ١٩١٨/ ١٩١٩ لمعارضة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية العدوانية باسم الشعب السوري كله في أقاليم سورية كلها، وقد اتجهت الحركة الوطنية اتجاهاً إقليمياً بعد الحرب العالمية الأولى التي أسفرت عن تمزيق بلاد الشام إلى سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن.

إن الخطر الصهيوني في فلسطين واستفحال شروره أدى إلى ظهور حركة وطنية فلسطينية تتولى مناهضة الاستعمار البريطاني ومقاومة الخطر اليهودي، وقد مرت الحركة الوطنية الفلسطينية بعدة مراحل، ونشأت عدة مؤسسات وأحزاب ولجان ابتداء من قيام النادي العربي برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين على يد الشبان الوطنيين المتحمسين للدفاع عن البلاد ضد الخطر البريطاني والخطر اليهودي، الذين قبلوا أن تكون الحركة الوطنية برعاية الوجهاء والزعماء والشيوخ، على أن يكونوا هم درعها الحامي، وقاوم البريطانيون والصهاينة الحركة الوطنية وحاولوا الضرب على نغمة الخلاف المسيحي الإسلامي، إلا أنهم لم ينجحوا، وسارع رجال الحركة الوطنية إلى تشكيل الجمعيات الإسلامية المسيحية إعلاناً عن وحدة الرأي وإعراباً عن التضامن الإسلامي المسيحي، وقد قامت هذه الجمعيات بقيادة الحركة الوطنية على أكمل وجه مستطاع، وكانت أقواها في القدس، ونابلس، ويافا ، وأنشأت هذه الجمعيات ما عرف بـ "المؤتمر العربي الفلسطيني" فجاء ممثلاً للبلاد بأسرها وتوحدت القيادة العامة للحركة الوطنية وانتهى دور الجمعيات الإسلامية المسيحية.

وعقدت في المدة من عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٢٨م، سبعة مؤتمرات عربية فلسطينية تولت قيادة الحركة الوطنية وتركزت القيادة في لجنة تنفيذية كان كل مؤتمر ينتخبها قبل انفضاضه.

وقد انتخب موسى كاظم الحسيني في المؤتمرات كلها رئيساً للمؤتمر واللجان التنفيذية وبهذا أصبح زعيم البلاد الأول، بدأت هذه المؤتمرات نشاطها بصورة قوية ومقبولة لدى الشعب الفلسطيني ؛ ولكنها ما لبثت أن أصيبت بالضعف والهزال والتفكك بسبب ما نشب من خلافات حزبية، وما قام من تباين في الآراء حول الوسائل التي يجب اتباعها في مقاومة الحكم البريطاني والحركة الصهيونية، فجاءت اللجان التنفيذية الأخيرة ضعيفة وضمت في عضويتها شخصيات مشكوك في صدق وطنيتها ، خلال هذه الأعوام ظهر الحاج محمد أمين الحسيني في المجال السياسي، ثم جاء انتخابه مفتياً للقدس تحدياً للسلطة البريطانية ولعدد من العلماء الطامعين في مركز الإفتاء، ونشب الخلاف بين هذه الجماعات، وكان هذا الخلاف نواة للمشاحنات والخصومات الحزبية في فلسطين. ولما وافقت حكومة الانتداب على إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى لمسلمي فلسطين، وأقر مشروعه أجريت الانتخابات وفاز الحاج محمد أمين الحسيني ومرشحوه فوزاً ساحقاً، وتولى رئاسة المجلس ورئاسة العلماء، وغدا بذلك يشغل مفتي فلسطين الأكبر، الأمر الذي أغضب الحاكم البريطاني واليهود فانطلقوا يقاومون المجلس ورئيسه وانضوى جماعة من الوجهاء والأعيان وذوي الأهواء لمقاومة المجلس ورئيسه عرفوا بالمعارضة في حين عرف من أيد الحاج محمد أمين الحسيني وهم الأكثرية من الجمهور الفلسطيني بالمجلسيين ، ثم جرت انتخابات للمجالس البلدية في فلسطين، وكانت سبباً آخر لاندلاع نيران الخلافات والمشاحنات بين الفلسطينيين، وعلى الرغم من كل شعبية المفتي، إلا أنه آثر الوقوف خلف القيادة السياسية الشرعية للبلاد (اللجان التنفيذية والمؤتمرات الفلسطينية) وتأييدها.

وقد شهدت الحركة الوطنية في عامي ١٩٢٨/ ١٩٢٩ الضعف والتشتت، فقد أصاب الشلل اللجنة التنفيذية بسبب المشاحنات الحزبية بين أعضائها واستشرى الخطر الصهيوني بالاستيلاء على المزيد من الأراضي وتفاقمت هجرتهم إلى البلاد فتأثر الشباب لهذا الوضع المحزن، وانتشرت بينهم فكرة تنادي بوجوب تكتل أصحاب المبادئ والآراء الواحدة في حزب خاص

بهم، واتصلوا بالحاج محمد أمين الحسيني وكاشفوه بشعورهم بضرورة أن يتولى قيادة الحركة الوطنية مباشرة مع اتباع سياسة المجابهة مع الوضع السياسي القائم، مع الحكم البريطاني والعدو الصهيوني، إلا أنه نصح بالتريث ولو على مضض حتى يحين الوقت المناسب للعمل الجاد، وأكد على ضرورة الإبقاء على القيادة السياسية الشرعية ، أي اللجنة التنفيذية خشية انهيارها وعدم استطاعته إنشاء قيادة جديدة بديلة.

استمر هذا الوضع قائماً حتى ربيع ١٩٢٩م، عندما ظهرت مطامع الصهاينة في الأماكن المقدسة، وخاصة حائط البراق الشريف بالقدس، فتصدت لها اللجنة التنفيذية وقام الحاج محمد أمين الحسيني بدور بارز في مقاومة هذه المخططات، وفي ٢٣/ ٨/ ١٩٢٩م نشبت ثورة البراق ، وعادت الوحدة ولو في الظاهر إلى الصف الفلسطيني واللجنة التنفيذية، وتعزز مركز الحاج محمد أمين الحسيني، والتف الشعب حوله، لكنه ظل على موقفه السابق يعمل على دعم اللجنة التنفيذية وتقويتها بصفتها القيادة الشرعية السياسية.

ولما لم تسفر المباحثات التي جرت بين الفلسطينيين والحكومة البريطانية بعد الثورة، عن أية مصلحة للعرب، عاد الخلاف الحزبي والمحلي يمزق الصف الوطني، فعاد الوطنيون إلى مراجعة المفتي لتولي القيادة السياسية، غير أنه ظل على موقفه السابق وحث الوطنيين على التريث والانتظار، ثم قامت جماعة من الوطنيين الذين كانوا يعتبرون من مؤيدي المفتي بتأسيس حزب الاستقلال الذي مارس نشاطه بهمة ونشاط ، وعقد المهرجانات لحث العرب على الجهاد والكفاح، غير أن الكثيرين من أعضائه انفضوا عنه قبل أن ينقضي عامه الثاني، وكان منهم عوني عبد الهادي، ورشيد الحاج محمد، ومعين الماضي، ومحمد عزة دروزة، وصبحي الخضراء، وسليم سلامة، وفهمي العبوشي، وأكرم زعيتر ، وعجاج نويهض.

الحزب العربي

ولما استشرى خطر الهجرة اليهودية عام ١٩٣٣م، وعمت المشاحنات الحزبية فلسطين بأسرها عقد فريق من شبان القدس اجتماعاً سرياً قرروا فيه وجوب القيام بمظاهرات شعبية في البلاد كافة ضد الحكومة، سمحت الحكومة لهم أم لم تسمح ونقل الشبان قرارهم إلى اللجنة التنفيذية، وكان أكثريتها من المجلسيين فحبذه موسى كاظم الحسيني، فاتخذت اللجنة قراراً بالتظاهر دورياً خلال شهر تشرين الأول عام ١٩٣٣م، في مدن فلسطين الواحدة تلو الأخرى، وهنا برزت زعامة المفتي والمجلسيين ؛ لأن الشعب اعتبرهم القائمين بالمظاهرات والذين تحدوا الحكم البريطاني ، وكان المؤمل أن تشتد الحركة الوطنية بعد مظاهرات تشرين الأول التي أدت إلى تلاشي الانقسامات والخلافات، ولكن الظروف بعثت الانقسامات من جديد، فمرض موسى كاظم الحسيني في أواخر عام ١٩٣٣م فشب خلاف حول من سيخلفه بين رجال اللجنة التنفيذية التي لم تستطع عقد اجتماع لها بعد اجتماع كانون الأول عام ١٩٣٣م ، وفي ٢٣/ ٣/ ١٩٣٤، توفي موسى كاظم الحسيني فشغر منصب الزعامة والقيادة للحركة الوطنية، فتفاقمت الخلافات رغم كل ما بذل من جهود، واشتد التباين في الرأي حول الرئاسة ووسائل المقاومة، مما أصاب الحركة الوطنية بالشلل، وإلى انهيار اللجنة التنفيذية، فخلت البلاد من الزعامة ، برز اتجاهان في صفوف المجلسيين، الأول يدعو إلى أن يتسلم الحاج محمد أمين الحسيني زعامة البلاد مباشرة، ويتولى قيادة الحركة الوطنية والمقاومة، والثاني ومعظمه من الشبان يدعو إلى تشكيل حزب سياسي يتولى العمل الوطني من أصحاب المبادئ والأهداف الواحدة، يتولى المفتي قيادته الحقيقية، حين كان المجلسيون يقومون بالدراسة والإعداد لتنظيم الجبهة الوطنية بواسطة اللجنة التي شكلت لهذا الغرض، سارع المعارضون إلى تشكيل حزب الدفاع الوطني، ثم تألف حزب الإصلاح، فحزب الكتلة الوطنية، بينما كان حزب الاستقلال قائماً ومؤتمر الشباب العربي الفلسطيني، فصار في البلاد خمسة أحزاب. وبعد مدة غير قصيرة أصدرت اللجنة التي شكلها المجلسيون تقريرها وتوصياتها وعرضت على الاجتماع المنعقد في

٢٥/ ٤/ ١٩٣٤م، ضم ٧٥ شخصية من الوطنيين، وكان القرار بعد الدراسة تشكيل حزب سياسي يبني دستوره على أساس الميثاق الوطني الفلسطيني ومطالب البلاد المعروفة ،واختار المجتمعون لجنة تحضيرية جعلوا من اختصاصها الإعداد لتشكيل حزب، ووضع دستوره ونظامه الداخلي، وقبول طلبات الانتساب والتدقيق في المقبولين، واستمرت هذه اللجنة بمهمتها سبعة شهور فدعت إلى مؤتمر عام في القدس يحضره من ووفق على قبولهم أعضاء.

وعقد المؤتمر في ٢٥/ ٣/ ١٩٣٥ بالقدس وبلغ عدد الحضور ١٥٧١ عضواً من العلماء والقضاة والأطباء والمهندسين والصيادلة وشيوخ القبائل والعشائر والمحامين وعلماء الدين، وبرز من بينهم عنصر الشباب، وافتتح المؤتمر قاسم النمر بخطاب أعلن فيه تشكيل الحزب رسمياً باسم "الحزب العربي الفلسطيني " ودعا إلى انتخاب رئيس له جمال الحسيني فانتخب بالإجماع وعرض الرئيس المنتخب دستور الحزب وأنظمته الداخلية فأقرها المجتمعون بالإجماع، ثم طلب من المؤتمر انتخاب هيئة مكتب الحزب فاختير الفرد روك (يافا)، بالإجماع نائباً للرئيس، وإميل الغوري (القدس)، أميناً عاماً، وخالد الفرخ وكامل الدجاني (يافا)، ووجيه البشتاوي (نابلس)، أعضاء في مكتب الحزب، ثم تم انتخاب لجنة تنفيذية مؤلفة من أشخاص يمثلون جميع أقضية فلسطين وعشائرها.

تأسس رسميا في السابع والعشرين من آذار ١٩٣٥ ، المؤسسون هم : جمال الحسيني، قاسم آغا النمر، حسن أبو السعود ، فريد العنبتاوي، الشيخ محمد الخطيب، الحاج موسى الصوراني عبد الله سمارة ، يوسف العلمي ، ونتيجة لنشأة حزب الدفاع الوطني على يد آل النشاشيبي وجد آل الحسيني أنفسهم في وضع يحتم عليهم تأسيس حزب خاص بهم مؤلف من أعضاء متجانسين في الفكرة والاتجاه ، قانون الحزب وغايته استقلال فلسطين ورفع الانتداب، والمحافظة على عروبة فلسطين ومقاومة تأسيس وطن قومي يهودي ، وارتباط فلسطين بالأقطار العربية في وحدة قومية سياسية مستقلة استقلالاً تاما، وتحسين حالة الأمة العربية في فلسطين، اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

تميزت برامج الحزب العربي الفلسطيني بأنها استقلالية وقومية سعت إلى مواجهة الانتداب والحركة الصهيونية، وقد حددها القانون الداخلي للحزب بما يلي :العمل على استقلال فلسطين ورفع الانتداب عنها ، المحافظة على عروبة فلسطين ومقاومة تأسيس وطن قومي لليهود فيها، قامت نشاطات الحزب على إقامة مراكز للحزب لحشد أكبر عدد ممكن من الجماهير، إقامة مهرجانات لتوضيح خطر بيع الأراضي ، وإنشاء فرق الفتوة المؤلفة من الشباب ذوي الأبدان القوية، وإنشاء منظمة برئاسة عبد القادر الحسيني تطورت إلى منظمة الجهاد المقدس ، قام الحزب فور تشكيله بنشاط واسع ، فقام الرئيس وأعضاء مكتبه بجولات عديدة زاروا خلالها المدن والقرى الفلسطينية المختلفة، وتم تشكيل ١٧ فرعاً للحزب في البلاد ترتبط بالمركز في القدس، منها مقرا في قرية عنابة الرملة ، ثم توسع المكتب بتوسع مهام الحزب وأنشطته.

بذل الحزب جهودا مشكورة في تنظيم الصف الوطني ، ووضع مخططات عملية لمقاومة بيع الأراضي والسمسرة عليها ومقاطعة اليهود والبريطانيين بكل السبل، وعمل بجد على تعبئة طاقات الشعب وحشد إمكاناته للوقوف في وجه الحكم البريطاني، وتولى دعوة الشعب إلى مقاومة الحكومة البريطانية المنتدبة وإجراءاتها وتدابيرها وقوانينها وأنظمتها الرامية إلى تهويد فلسطين ، وشكل في مركزه دوائر ولجاناً خاصة لشؤون السياسة والدعاية والإعلام والأراضي والمقاطعة والأبحاث والدراسات والرياضة والتجارة والاقتصاد والتوعية ولإصلاح ذات البين وفض المنازعات والخلافات بالتفاهم في كافة المدن والقرى والمضارب البدوية، وشكل الحزب دائرة خاصة لتنظيم الشباب وإنشاء منظمة الفتوة القوة الأولى لجيش الجهاد المقدس، وأسهمت بدور فعال في ثورة ١٩٣٦م.. وبعد أن نظم الحزب العربي الحسيني أعماله أخذ يدعو الشعب إلى التمرد على الحكم البريطاني ومقاومته فوجه في ٣١/ ٥/ ١٩٣٥م، نداء للفلسطينيين يدعوهم فيه إلى الإضراب والقيام بالمظاهرات في ٤/ ٦/ ١٩٣٥م، احتجاجاً على سياسة الحكومة وإعلاناً عن تصميمهم على صيانة عروبتهم ووطنهم ، وفي اليوم الموعود أضربت البلاد، وعمت المظاهرات كل المدن والقرى الفلسطينية ، وسقط عدد من القتلى والجرحى ،

وتجددت المظاهرات والاصطدامات في البلاد في ٩/ ٦ و٢١/ ٦/ ١٩٣٦م، كذلك دعا الحزب إلى الإضراب العام التاريخي في ١٩/ ٤/ ١٩٣٦م، الذي استمر ستة أشهر وأسهم في إنشاء اللجان القومية في فلسطين ١٩٣٦م.

واصل الحزب أعماله حتى ٢٥/ ٤/ ١٩٣٦م، عندما تشكلت اللجنة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني، وتقرر إسقاط كل عمل حزبي والالتفاف حول اللجنة ورئيسها ، وقد ضمت اللجنة رئيس الحزب العربي الفلسطيني جمال الحسيني ونائبه ألفرد روك عن جميع الأحزاب.

وفي تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٣٧م، حلت الحكومة البريطانية المجلس الإسلامي الأعلى وأقالت المفتي من رئاسته، وحلت اللجنة العربية العليا واللجان القومية، وضيقت على الزعماء الفلسطينيين، وحاولت إلقاء القبض عليهم، وعمدت إلى إبعادهم للخارج وفيهم المفتي وجمال الحسيني، وواصلت اللجنة العربية العليا زعامة الحركة الوطنية من بيروت، ثم من بغداد، ثم من أوروبا حيث وصلها المفتي مع بعض زملائه.

ساد الجمود الحركة الوطنية في فلسطين في عامي ١٩٤٠م و١٩٤١م، لأسباب كثيرة منها إجراءات البريطانيين التعسفية وبطشهم وإرهابهم على أثر نشوب الحرب العالمية الثانية، وغياب الزعماء والقادة في الخارج وامتلاء السجون والمعتقلات، وكان معظمهم من المنتمين للحزب العربي. واشتد الإرهاب الصهيوني وتظافرت جهود الأمريكيين والبريطانيين لخدمة أهداف الصهاينة والإسراع في تنفيذ السياسة الاستعمارية الصهيونية المرسومة، فشعر كثير من العرب بضرورة إحياء الحركة الوطنية الفلسطينية، واجتاحت فلسطين موجة من المطالبة بإطلاق حرية العمل للعناصر الوطنية في البلاد التي كانت السلطة تضطهدها، والسماح بعودة المبعدين، ورفع الفلسطينيون العرائض للمندوب السامي وطيروا البرقيات إلى الحكومة البريطانية والدول العربية وزعماء العالمين الشرقي والغربي لشرح القضية الفلسطينية ، وعقدوا الاجتماعات وتظاهروا، واتسعت الحركات واتخذت شكلاً جدياً، فاضطرت الحكومة إلى تلبية

بعض المطالب الوطنية، تجنباً لانفجار الشعب، فخففت قيودها الصارمة المفروضة على الوطنيين ورجال الحزب العربي الموجودون في فلسطين، وسمحت لمن كان منهم في البلاد العربية بالعودة، كما أفرجت عن كثيرين من المساجين المنفيين، وعدلت أنظمة الطوارئ والقوانين الاستثنائية بشكل يسمح بعض الشيء بتحرك الشعب سياسياً ووطنياً.

ولم تمر بضعة أيام على عودة من عاد من الوطنيين المبعدين والمشردين من رجال الحزب العربي حتى اتصلوا بإخوانهم المقيمين داخل البلاد، وعقدوا معهم سلسلة اجتماعات للمشاورة والبحث، لاستئناف الحركة الوطنية، وقرروا الاتصال بزعماء الأحزاب والهيئات السياسية لتأليف جبهة متحدة يقف وراءها الشعب الفلسطيني صفاً واحداً مرصوصاً، كما كان عام ١٩٣٦م، لكن الجهود لم تثمر، وعاود رجال الحزب في شباط ١٩٤٤م، اتصالاتهم بجميع الفرقاء الآخرين لإحياء الحركة الوطنية لكن دون جدوى، وإزاء هذا كله، وشعوراً بوجوب مباشرة العمل السياسي لمقاومة الخطر الاستعماري الصهيوني، ثم اعتماداً على ما لمسه رجال الحزب العربي من تأييد الشعب لهم، قرروا استئناف العمل السياسي باسم الحزب تاركين الباب مفتوحاً أمام سائر الفئات والجماعات للتعاون والإسهام في عمل وطني مشترك.

اجتمع زعماء الحزب العربي الفلسطيني في ٨/ ٤/ ١٩٤٤م، وقرروا إعادة تشكيل لجان الحزب ودوائره وفروعه ومباشرة العمل السياسي الوطني على أساس الميثاق الوطني مؤكدين تأييدهم للمفتي وإخوانه في أوروبا وجمال الحسيني وإخوانه المعتقلين في روديسيا، وانتخب المجتمعون توفيق صالح الحسيني وكيلاً للحزب وإميل الغوري أميناً عاماً كما انتخبوا مكتباً مركزياً ومجلس إدارة وباشر الحزب أعماله بقوة ونشاط فأخذ في تنظيم الشباب وأعاد إنشاء فرق الفتوة التي حلتها الحكومة عام ١٩٣٧م وألف فرقة كشفية ورياضية وشكل لجاناً لمقاومة بيع الأراضي، وأرسل الوفود للأقطار الخارجية لشرح القضية وعقد سلسلة اجتماعات ومهرجانات شعبية دورية لبعث روح الجهاد والمقاومة، وتجولت وفود في المدن والقرى لتوحيد الجهود، وتشكلت لجان للعناية بالمساجين وعائلاتهم والمرافعة عن قضاياهم أمام المحاكم ، وعادت الحكومة إلى

مقاومة الحركة الوطنية فاضطهدت وسجنت ونفت وفرضت الإقامة الجبرية ورفضت الترخيص للحزب بإصدار جريدة أو مجلة مما أثر على عمل الحزب ونجاحه في مهمته الوطنية بتشكيل جبهة وطنية موحدة تضم الأحزاب الأخرى.

وفي خريف ١٩٤٥م، تدخل مجلس جامعة الدول العربية لجمع الصفوف، ووفق وفده عند زيارته للقدس في تشكيل لجنة عربية عليا من خمسة أعضاء من الحزب العربي، ومن رؤساء الأحزاب الخمسة الأخرى، ومن أحمد حلمي عبد الباقي وموسى العلمي، غير أن الخلاف الجزئي سرعان ما عطل عمل اللجنة، وعندما أعلنت الحكومة عن عزمها على إيفاد لجنة بريطانية أمريكية للتحقيق في القضية الفلسطينية استفحل الخلاف الحزبي بسبب تباين الآراء حول جدوى التعاون مع اللجنة المذكورة أو عدم التعاون معها، وقد أنقسم الحزب العربي نفسه حول هذا الموضوع إلى من يرى ضرورة التعاون ومن يرى عدمه، وأفرجت الحكومة البريطانية عن جمال الحسيني فعاد إلى القدس وتولى رئاسة الحزب العربي، ولكن البلاد شهدت خلافاً جديداً حول مشروع المكاتب العربية ، فقد وقفت الأحزاب ضد هذا المشروع في حين أيده جمال الحسيني وعدد من أعضاء الحزب والشبان الذين تعاونوا مع موسى العلمي، وأما الشيوخ والزعماء القدامى فكانوا معارضين للمشروع، وقد أدى خلاف الحزب الداخلي إلى تمزيقه مدة من الزمن حتى تم تشكيل الهيئة العربية العليا في حزيران ١٩٤٦م، برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني فتوقف كل نشاط حزبي في فلسطين، كان الحزب العربي أكبر الأحزاب في فلسطين وأقواها نفوذا وأثراً، وفي عام ١٩٤٧م، قدمت حكومة الانتداب تقريراً مفصلاً عن فلسطين وأوضاعها إلى لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ذكرت فيه أن الحزب العربي الفلسطيني كان أقوى الأحزاب الفلسطينية، وأكثرها تمثيلاً للشعب، لأنه كان حزب المفتي، وذكرت الحكومة في تقريرها أن حزب الدفاع الوطني كان الحزب الثاني في البلاد.

قريتنا

كانت قريتنا ضمن قرى أخرى البرية برفيليا دانيال جمزو كلها تتبع مدينة الرملة المدينة الخالدة في التاريخ الاسلامي منذ أن أنشاها الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك ، وقد أمست هدف الغزاة والثورات الاسلامية ومطلب للحاكمين لبلادنا فلسطين .

كانت قريتنا عنابة ضمن أكثر من ستين قرية رملاوية ، هجر سكانها في أحداث النكبة والتطهير العرقي الإسرائيلي ، كانت القرية مبنية على تل يبعد أقل من ٣ كلم شمالي شرقي طريق القدس– يافا العام، كانت طريق فرعية تصلها به ، وكانت طرق فرعية أخرى تصلها بالقرى المجاورة ، كما كانت منازلها تنتشر على تل صخري يشرف على السهل الساحلي ، وقد عُدت عنابة مبنية في موقع بلدة " بيتو أنّابا" القديمة التي كانت تابعة لولاية ديسبوليس اللد أيام الرومان . كانت عنابة قرية في ناحية الرملة ، وعدد سكانها ١٦٥ نسمة ، وكانت تؤدي الضرائب على عدد من الغلال كالقمح والشعير والزيتون والفاكهة ، بالإضافة إلى عناصر أخرى من الإنتاج والمستغَلات كالماعز وخلايا النحل وكروم العنب ، في أواخر القرن التاسع عشر، وُصفت عنابة بأنها قرية متوسطة الحجم ، مبنية بالطوب على مرتفع من الأرض ، ومحاطة بشجر الزيتون ، كان سكان القرية عنابة كلهم من المسلمين ، كانت منازلها مبنية في معظمها بالحجارة ، ومتجمهرة بعضها قرب بعض ، وباستثناء المنازل القديمة المبنية بالطوب ، وتحيط بالمسجد دكاكين ، ومزار لشيخ يدعى عيسى ، تم تحويله إلى مدرسة في بداية العشرينات ؛ وكان ١٦٨ تلميذاً يؤمون هذه المدرسة في أواسط الأربعينات ، في سنة ١٩٣٨، تم بناء مدرسة جديدة بعد أن بيع مكان المدرسة القديمة ، وقد حازت هذه المدرسة قطعة من الأرض تبلغ مساحتها عشرة دونمات ، واستقبلت تلامذة القرى المجاورة أيضاً ، وكان يؤمها ١٥٠ تلميذاً في سنة ١٩٤٨ *. وكان في قرية عنابة قبل النكبة والتطهير العرقي اثنا عشر دكاناً ومقهيين ،وذلك قبل الهجرة القسرية ، كما كان فيها أحد عشر معمل كلس شيد ، تنتج نحو ٥٠٠ طن من الكلس يومياً ؛

* [كناعنة واشتيه ١٩٨٧] .



وكان هذا الكلس يباع في تل أبيب وفي غيرها من المدن .

كان القسم القديم من القرية محاطاً بسور، ومدخلها الرئيسي يتصل بطريق يافا- القدس العام وابتداءً من أواخر الثلاثينات، بُدئ ببناء منازل تتألف من طبقتين أو ثلاث طبقات ، وتزايدت حركة البناء في الأعوام الأخيرة من فترة الانتداب، بُنيت المنازل في موازاة الطرق الموصلة إلى القرى المجاورة، وعلى الأراضي الزراعية أيضاً ، وكان يحيط بالقرية شبه حلقة من الأشجار، كالتين والزيتون والكرمة والصبر ، وكانت كل "حمولة" من الحمائل تملك ديواناً للاجتماع في العشايا والمناسبات الخاصة كالأعراس .

كانت عنابة تُعد مركزاً للقرى المجاورة ، مثل البرية والقبيبة ، نظراً إلى ما كان فيها من الخدمات- كالمدرسة وطاحونة الحبوب- التي لم يكن يوجد نظيرها في القرى الأُخرى ، وكان بعض سكانها يذهب إلى الرملة لبيع المحاصيل، كما كان نفر من عمالها يعمل في الرملة، كانت الزراعة (ولا سيما البعلية منها) وتربية المواشي أكبر موارد الرزق في عنابة، وكان أهم المحاصيل الحبوب (ومنها القمح) والخضروات (كالبندورة والبامية) والحمضيات والسمسم والزيتون، وفي ١٩٤٤/ ١٩٤٥، كان ما مجموعه ١١١ دونماً مخصصاً للحمضيات والموز، و١٠٦٢٦ دونماً للحبوب، و٥١١ دونماً مروياً أو مستخدماً للبساتين.*

استناداً إلى (تاريخ حرب الاستقلال الصهيوني)، فإن القرية هوجمت أول مرة في سياق عملية يورام ؛ وهو الهجوم الرابع على منطقة اللطرون ، في ٨-٩ حزيران ١٩٤٨، وكان لواء يفتاح نفّذ هذا الهجوم لصرف الأنظار عن محاولات احتلال اللطرون ؛ لكن عنابة لم تُحتل إلا في الشهر اللاحق، في إطار عملية داني.

---

* [كناعنة واشتيه ١٩٨٧].

وقد أخلى سكان عنابة القرية من النساء والأطفال بعد الهجمات الأولى، بحيث لم يبق فيها عندما وقع الهجوم الأخير في ١٠ تموز إلا ٢٠٠ رجل.

وقد هاجم الجنود الإسرائيليون القرية من ثلاث جهات، وتركوا للسكان طريقاً للفرار صوب الشمال الشرقي ، وعندما نفدت ذخيرة المدافعين عن عنابة- وكان سلاحهم قليلاً- غادروا القرية، بُعيد الساعة الواحدة ليلاً، في ذلك الاتجاه ، في اليوم نفسه، نُسفت منازل عنابة نسفاً منظماً، بأوامر من القيادة العليا للجيش الإسرائيلي، فقد أُمر لواء يفتاح واللواء الثامن بنسف معظم المنازل واستبقاء تسعة منها لإيواء حامية صغيرة ، وبقيت هذه المنازل التسعة حتى سنة ١٩٥٢، حين لغّمها الجيش الإسرائيلي وجرفها أيضاً ، الموقع مسيّج، ومن الصعب دخوله ، وهو يشرف على طريق القدس- تل أبيب العام، المار على بعد كيلومترات قليلة من اللطرون وبرها. ويتناثر في أرجاء الموقع ركام الأنقاض والحطام الذي نمت فوقه الأعشاب النباتات البرية، بما فيها الصبار وبعض شجر الزيتون وشوك المسيح من فترة ما قبل ١٩٤٨، ويشاهد، فضلاً عن أنقاض المنازل ، حطام المدرسة والمقر المحلي للحزب العربي الفلسطيني حزب الحسينية ، ويبرز في المقبرة العنابية ضريحا حسين بدوان وإسماعيل عايش بدوان ، بسبب البنية الحجرية التي تعلوهما، وتنهض إحدى شجيرات شوك المسيح من أنقاض منزل محمد طمليه، وتنتصب شجرة توت عارية وسط حطام منزل محمد عبد الله. والأراضي المحيطة مزروعة، لكن بعض آثار الزراعة القديمة ما زال باقياً، مثل كرم علي الكسجي، بما فيه من شجر زيتون ورمان وآجام صبّار، مثل شجر الزيتون الباقي في أرض أبو رمان ، وثمة في المنطقة التي كانت تعرف باسم العطن بئر مهجورة، تتحلّق حول فوهتها كومة حجارة.

مثّلت مدينتا اللد والرملة هدفاً استراتيجياً للقوات الصهيونية خلال حرب ١٩٤٨، بسبب وقوعها بالقرب من تل أبيب عند ملتقى خطوط المواصلات بين الشمال والجنوب والساحل والداخل، وبسبب وجود مطار عسكري صغير في الرملة وآخر مدني كبير في اللد، إلى جانب وجود محطة الهاتف الرئيسة في فلسطين ومعسكر صرفند بالقرب منهما.

أطلق الإسرائيليون على عملية اللد والرملة الاسم الرمزي "داني" وخصصوا لها قوة البلماخ المؤلفة من ٦٥٠٠ رجل، منظمة في ثلاثة ألوية ومزودة بناقلات الجنود المدرعة المجنزرة والمدرعات والمدفعية والإرشاد الجوي.

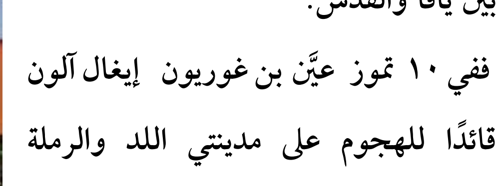
بدأ الهجوم الإسرائيلي يوم ٩ تموز/ يوليو ١٩٤٨، بمسعى لعزل المدينتين وتم احتلال قرية عنابة، وقرية جمزو، ثم مطار اللد ، فعزلت سرية الجيش الأردني في الرملة والعباسية، واكتمل تطويق المدينتين وعزلهما، لتتعرضا لقصف جوي ومدفعي شمل الأحياء الآهلة بالسكان.

في ١١ تموز/ يوليو ١٩٤٨، سقطت مدينة اللد، ثم مدينة الرملة، وفي اليوم الثالث عشر من الشهر نفسه، رحّل الإسرائيليون سكان المدينتين عنوة، وأجبروهم على السير على أقدامهم، في عملية استمرت ثلاثة أيام، بعد أن اقتُرفت مجزرة دموية خصوصاً في اللد ومسجدها ، قلّما تم الحديث عنها .



مجزرة اللد

في الخامس من رمضان ١٣٦٧ هـ الموافق ١١ تموز ١٩٤٨ م، قامت وحدة كوماندوز صهيونية بقيادة المجرم المشهور موشيه ديان بارتكاب مجزرة في مدينة الّلد بفلسطين ، حيث اقتحمت المدينة وقت المساء تحت وابل من القذائف المدفعية ، وكانت" عملية داني-"الاسم الرمزي الموحي بالبراءة- للهجوم على مدينتي اللد والرملة الواقعتين في منتصف الطريق بين يافا والقدس.



ففي ١٠ تموز عيَّن بن غوريون إيغال آلون قائدًا للهجوم على مدينتي اللد والرملة وإسحاق رابين نائبًا له ، وأمر "ألون" بقصف المدينة من الجو، وكانت أول مدينة تهاجم على هذا النحو ، وتبع القصف هجوم مباشر على وسط المدينة، تسبّب بمغادرة من كان من متطوعي جيش الإنقاذ المرابطين بالقرب من المدينة، والتي تلقت الأوامر بالانسحاب من قائدها البريطاني غلوب باشا بالانسحاب، وفي إثر تخلِّي المتطوعين وجنود الفيلق العربي عن سكان اللد، احتمى رجال المدينة المتسلحين ببعض البنادق العتيقة بمسجد (دهمش) وسط المدينة، وبعد ساعات قليلة من القتال نفذت ذخيرتهم واضطروا للاستسلام، لكن القوات الصهيونية المهاجمة أبادتهم داخل المسجد المذكور.

بدأ الهجوم الصهيوني على اللد والرملة يوم ٩/ ٧/ ١٩٤٨م، وسعى الصهاينة إلى عزل المدينتين عن أي مساعدة تأتي من الشرق، فتقدم إلى شرقي اللد والرملة لواءان؛ أحدهما من الجنوب، حيث دخل قرية عنّابة في الساعة الواحدة صباح ١٠ يوليو، ثم قرية جمزو، وثانيهما من اتجاه تل أبيب في الشمال الغربي، وقد احتل هذا اللواء فلهيلما - مطار اللد ، وباحتلاله عزلت سرية الجيش الأردني في (الرملة والعباسية) اليهودية سابقا ، وهكذا اكتمل تطويق المدينتين وعزلهما، ولم يستطع المناضلون في القرى المذكورة ومطار اللد الصمود أمام الهجمات من قبل الدبابات

والمدفعية المنسقة، تعرضت المدينتان أثناء ذلك لقصف جوي ثقيل وجّه إلى مركز شرطة الرملة خاصةً، وقصف مدفعي شمل الأحياء الآهلة بالسكان.

استمر ضغط الصهاينة على امتداد واجهة القتال، وركزوا هجومهم على مدينة اللد أولاً، فشنوا عند الظهر هجومًا قويًّا عليها من الناحية الشرقية عند قرية دانيال، ولكن مجاهدي المدينة استطاعوا أن يصدوا الهجوم بعد معركة دامت ساعة ونصف، خسر الصهاينة فيها ٦٠ قتيلاً، وعاد المجاهدون وقد نَفِد عتادهم، ثم شن الصهاينة هجومًا آخر بقوات أكبر تدعمها المدرعات، وتمكنوا في الساعة ١٦ تقريبًا من دخول اللد واحتلالها، وهم يطلقون النار على الأهالي دون تمييز.

بعد ذلك اخترقت فصيلة تابعة للجيش الأردني مدينة اللد التي كانت قد استسلمت للكتيبة الثالثة التابعة للواء (يفتاح) في البالماح ، وفي أعقاب الاختراق ارتفعت معنويات سكان المدينة، ومن أجل إخمادهم ومنعهم من التحرك، أصدرت الأوامر للإرهابيين الصهاينة بإطلاق النار الكثيفة على جميع من وجد في الشوارع، وخلال بضع ساعات – وبموجب تقدير قائد اللواء في المعركة– قُتل ٢٥٠ فلسطينيًّا، فكانت أبشع "مجزرة" وأسرعها وقتًا، غير أن الإعلام العربي لم يركز عليها ، وفي تقريره الذي قدمه (مولاي كوهين) عن المجازر التي وقعت في مدينة "اللد"، اعترف فيه عن وجود فظائع كثيبة، ودوَّن ذلك في كتاب البلماح صفحة ٨٨٥ فقال ما يلي:"لا شك في أن قضية اللد والرملة وهرب السكان والتمرد اللذيْن جاء في أعقابها، قد وصلت فيها وحشية الحرب إلى ذروتها."

ونشرت صحيفة يديعوت أحرنوت الصهيونية يوم ٢/ ٥/ ١٩٧٢م التفاصيل التي أوردها العقيد احتياط (موشيه كالمان) عن مجزرة اللد فكتب (قال كالمان: بدأ احتلال اللد بمهاجمة أطراف المدينة بلواء (يفتاح) واللواء الثامن بعد ليلة من المعارك في مؤخرة اللد. اقتحمنا المدينة في ساعات بعد الظهر بالتنسيق مع طابور موشيه ديان، وسيطرنا على مركز المدينة قبيل المساء، ورفعت المدينة الأعلام البيضاء، وقد تدفق السكان إلى المسجد الكبير والكنيسة المجاورة له،

وأعلنا بعد حلول الظلام منع التجول في المدينة، وأقيم مقر قيادة الكتيبة في منزل القسيس قبالة بوابة المسجد، وطلبنا من السكان تسليم أسلحتهم، واكتشفنا في الصباح أنه لم يتم وضع أية قطعة سلاح من جديد ، وأعدنا توزيع المدافع، وعند الظهر تقدمت نحو المدينة – التي كان عدد سكانها عشرين ألفًا– مدرعات الفيلق الأردني التي كانت مخبأة في منطقة محطة سكة الحديد، واقتحمت المدرعات الأردنية إيذانًا بالعمل، فبدأ بإطلاق النار وأصبح وضعنا حرجًا، ولم يستطع اللواء التقدم لنجدتنا، ولأنه لم يكن هناك خيار، صدرت الأوامر لرجالنا بإطلاق النار على أي هدف، وسقط خلال المعركة ضحايا كثيرة، واستطعنا خلال بضع ساعات السيطرة مجددًا على المدينة، ووصل الضحايا من المدينة إلى ٢٥٠ قتيلاً، وجرح ٢٤ فقط، ومن عدد الضحايا نجد أن القتلة كان قصدهم القتل وليس الإرهاب فقط؛ فقد بلغ عددهم ٤٢٦ شهيدًا منهم ١٧٦ قتيلاً في مسجد دهمش في المدينة، وفي رواية أخرى بلغوا ٣٣٥ شهيدًا، ٨٠ منهم في مسجد دهمش.

تُعَد عملية اللد أشهر مذبحة قامت بها قوات البالماخ، وقد تمت العملية، المعروفة بحملة داني، لإخماد ثورة عربية قامت في تموز عام ١٩٤٨ ضد الاحتلال الإسرائيلي. فقد صدرت تعليمات بإطلاق الرصاص على أي شخص يُشاهَد في الشارع، وفتح جنود البالماخ نيران مدافعهم الثقيلة على جميع المشاة، وأخمدوا بوحشية هذا العصيان خلال ساعات قليلة، وأخذوا يتنقلون من منزل إلى آخر، يطلقون النار على أي هدف متحرك ، ولقي ٢٥٠ عربياً مصرعهم نتيجة ذلك (وفقاً لتقرير قائد اللواء). وذكر كينيث بيلبي، مراسل جريدة الهيرالد تريبيون، الذي دخل اللد يوم ١٢ يوليه، أن موشي دايان قاد طابوراً من سيارات الجيب في المدينة كان يُقل عدداً من الجنود المسلحين بالبنادق والرشاشات من طراز ستين والمدافع الرشاشة التي تتوهج نيرانها. وسار طابور العربات الجيب في الشوارع الرئيسية، يطلق النيران على كل شيء يتحرك، ولقد تناثرت جثث العرب، رجالاً ونساء، بل جثث الأطفال في الشوارع في أعقاب هذا الهجوم ، وعندما تم الاستيلاء على الرملة أُلقي القبض، في اليوم التالي، على جميع من بلغوا سن التجنيد من العرب،

وأُودعوا في معتقلات خاصة ، ومرة أخرى تجوَّلت العربات في المدينتين، وأخذت تعلن، من خلال مكبرات الصوت، التحذيرات المعتادة ، وفي يوم ١٣ تموز أصدرت مكبرات الصوت أوامر نهائية، حدَّدت فيها أسماء جسور معيَّنة طريقاً للخروج .

وأفرغت المدينتان اللد والرملة وعشرات القرى من الأهالي والبشر باتجاه الشرق الضفة الغربية التي سميت بذلك بعد النكبة ، والأردن الضفة الشرقية وعاش المشردون بمخيمات كثيرة انتشرت في الضفتين .



مخيم

أول الرحيل



الزراعة عماد حياة الفلاح الفلسطيني ، وعماد حياة البشر ، وسكّان القرى الفلسطينية جلهم مزارعون فلاحون ، ويتوارثونها جيلا بعد جيل ، وهي حياتهم ومعاشهم ، ويهتمون بوجود الدواب للحرث وللحمل وللنقل ، ويربون بعضها للحوم والألبان والأجبان والسمن ، والطيور للبيض والطعام ، فالقرية الفلسطينية أهم نشاطها الزراعة والحمضيات والخضار ، ونقلها للمدن الكبيرة لبيعها وشحنها للمدن الكبيرة والتصدير ، هكذا كانت مجموعة من القرى التابعة لمدينة الرملة المدينة الشهيرة في بلادنا ، فقراها تبلغ خمسون قرية ، منها دانيال البرية عنابة جمزو برفيليا القباب البرج خروبة ، وهي قريبة من خط قطار وطريق يافا القدس والإنسان الذي لا يملك أرضا للزراعة يشتغل عند عائلة زراعية أو يعمل راعيا لهم ، فلا يوجد بطالة في القرى والفلاحة ، فالعمل لدى الملاك لا ينقطع .

تزوج محمود علي أحد سكان القرية ذات العائلات والحمولات الكثيرة مرة أخرى .. وهذا شأن عادي في حياة الفلاح الفلسطيني ، وكانوا يسعون ويحبون المزيد من المواليد خاصة الذكور للأهمية لديهم من أجل تكثير الذرية للعمل والفلاحة ، فيتزوجون مرة وأُخرى للعزوة والفخر والعمل .. فالمطلقة تتزوج ، والأرملة تتزوج دون عائق اجتماعي أو شرعي، ولدت أمه فاطمة الكثير ، ولم يعش لها من زوجها قبل موته بحادث إلا واحدا سماه حسينا ، وهو اسم عربي إسلامي أصيل يحبه المسلمون ؛ لأنه اسم حفيد سيدنا محمد ﷺ ، ولصاحب البيارة محمود يونس المنسوبة للعائلة زوجات أنجبن عدة أبناء ، والزوجة الرابعة ولدت له ثلاثة أبناء وأنثى واحدة ، ولعم الطفل حسين الذي تزوج أرملة أخيه أربع بنات ولدن قبل ما سمي بالنكبة فقد

أصبحت تاريخا قبل وبعد ، واحدة أو صغراهن ولدت من أم حسين ، فصار لليتيم حسين أخت من أمه ، ثم طلق العم بعد النكبة وتزوج أخرى رغبة بالأولاد ، فولدت ذكرين وعدة بنات ، واستقر العم في الضفة الغربية حتى توفاه الله ﷻ .

كان حسين وحيد أبيه محمود ، وذكر وحيد لأمه ، فتربى في حضن أمه يتيما مع أخته من أبيه .. أخته لأمه لم تكن يتيمة ، هو وحده اليتيم .

مات والده وهو ابن سنتين على إثر حادث أليم قيل في انفجار بارود في محجر في البلد ، فتربى ونشأ يتيما وفي كنف عمه ، ولما حدثت الهجرة القسرية والنكبة الشهيرة كان غلاما يافعا .. ابن اثنتي عشرة سنة .

القرية كانت على طريق يافا القدس وخط السكة الحديد التي بينهما ، فكانت رحلة الهجرة والهرب من بطش عصابات الصهيونية باتجاه بيت دقو جهة القدس ، وأبناء محمود صاحب البيارة تجاه رام الله .

وظهرت مخيمات النكبة الخمسين أو تزيد ، فاجتازت أسر بيت دقو المهاجرة من ظلم وعدوان اليهود النهر نهر الأردن نحو مخيم الكرامة في غور الأردن الأوسط ، وبعضهم سار نحو مخيم الأمعري في رام الله ، وبعضهم مخيم الجلزون في رام الله أيضا ، وبعضهم إلى مخيم الزرقاء في شرق الاردن ، تشتت الشعب المهاجر شرقا وشمالا وجنوبا وغربا نحو مصر .

وسماهم العالم اللاجئين ، وأنشأوا لهم وكالة سموها وكالة الغوث الاونروا لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين لإطعامهم ومساعدتهم للبقاء أحياء عالة عليها لليوم ، لذلك استأجروا لهم مخيمات لمائة سنة إلا سنة واحدة .

قضاء الرملة يزيد عن ستين قرية طرد أهلها منها ، ويزيدون عن ١٠٠٠٠ آلاف نسمة .

احتوى قطاع غزة ثمانية مخيمات جباليا النصيرات الشاطئ البريج خان يونس المغازي دير البلح رفح ، والضفة الغربية تضم ثلث مخيمات اللاجئين ١٩ مخيما ، مخيم عايدة عقبة جبر عين السلطان النعويمة الامعري دير عمار الجلزون قلنديا الدهيشة بيت جبرين الفارعة العروب

بلاطة عسكر عين بيت الماء الفوار نور شمس جنين .

في الضفة الشرقية، مخيم الزرقاء ١٩٤٩ مخيم اربد١٩٥١، مخيم الحسين عمان ١٩٥٢ ، مخيم عمان واشتهر بمخيم الوحدات ١٩٥٥، مخيم سوف ١٩٦٧ جرش ، وأربعة مخيمات عام ١٩٦٨ الطالبية حطين الحصن غزة ، ومخيم البقعة قرب مدينة السلط.

كان للحزب العربي الذي أنشأه الحسيني جمال مقرا في تلك القرية ، وكانت قرية عنابة مقرا ومركزا لعدد من تلك القرى ، ولكن الفلاح الصغير الذي تعلم بضع سنين للسادس الابتدائي وحيد أمه كذكر بعيدا عن السياسة والاحداث الجسام .

ظهرت الاحزاب الستة المشهورة في فلسطين بعد عام ١٩٣١ م ، الحزب العربي لآل الحسيني وأتباعهم ظهر كحزب ٣٥ ، وقبل هذا العام انشأ آل النشاشيبي منافسو الحسينية حزب الدفاع الوطني ، وقبلهم أسس عوني عبد الهادي النابلسي حزب الاستقلال ٣٢ ، والرابع حزب الاصلاح حسين الخالدي ٣٥، ويعقوب الغصين حزب مؤتمر الشباب ، والسادس حزب الكتلة الوطنية ، وهي أحزاب عائلية ورقية، لا تمارس ديمقراطية ، أحزاب عائلية عشائرية .

قريتنا صغيرة وادعة مثل سائر القرى المحيطة بها كالبرية وجمزو ودانيال ، تعلم حسين القراءة والحساب ، وقرأ المصحف ، وعمل في الزراعة ، وعاصر الصراع الدامي بين الفلسطيني والغازي الظالم والمغتصب الجديد في المدن والقرى الكبيرة ، القرويون يجهلون أبجديات الوطنية وعمق الصراع خلال تلك الفترة ، وكان أفندية المدن هم الذين يتصدرون المشهد سياسيا وإعلاميا ، حتى أن المصاهرات كانت شاقة وقليلة ونادرة بين سكان المدن والقرى .

ولما حدث التقسيم الظالم ١٩٤٧ وبدأت تلوح أخطار الحركة الصهيونية ومكشوفة للقاصي والداني كان قد فات الأوان كما يقال للم اللحمة الوطنية ، فقد كبرت الفجوة بين أهل المدن وأهل الريف ، كمل المشروع الصهيوني عام ثمان وأربعين ، وولدت دولة اسرائيل على أرض فلسطين في منتصف أيار ، وظهر الكيان الإسرائيلي على مسرح العالم كدولة صهيونية .

حلت أمريكا المتحدة مكان بريطانيا علنا كدولة كبرى راعية لدولة اليهود الوليدة المشوهة دولة

عبرية وسط أمة عربية ، وحلت النكبة والتطهير العرقي وخطة داني .

ولد حسين علي في ست وثلاثين ، وولد يوسف محمود في اثنين أربعين ، وذهب المهاجرون قسرا لجهات شتى ، بعضهم جهة القدس ومنها لمخيم الكرامة الناشئ في غور شرق الأردن ، وذهب يوسف لرام الله الامعري ، ثم انتقل للكرامة في منطقة الغور .

خرج الكثير من الفلسطينيين من بلادهم وديارهم وهم يظنون أن العودة بعد أيام ؛ ربما تطول لبعض أسابيع ؛ فالجيوش العربية السبعة جيوش الإنقاذ دخلت فلسطين للإنقاذ لإنقاذ البلاد والعباد من جيش الهاغانا الصهيوني .

كانت الحياة حياة المخيم بسيطة في المخيم ؛ حيث يقطن كل أهل بلدة قرب بعضهم ، وكل عائلة مجاورة لعائلات من نفس العائلة الكبيرة ، وعمرت البلدة وأصبحت بلدة حية يقطنها آلاف الأسر والأفراد ، وأنا كاتب هذه الصفحات من تاريخ الأسرة لما ولدت فيها ، كنت أرى بيوت البشر من لبن الطين ، لم أدرك الخيم التي يتحدث عنها المشردون الهائمون في البلاد ولدت بعد النكبة بعشر سنوات وكسر .

كنت تجد الجامع يجمع أهل القرى من يافا واللد والرملة مع أهل المدن ، كانوا في البؤس والشقاء سواسية ، لا فرق بين قروي ومدني إلا بالأسماء ، وتجد الزواج بين أهل القرى والمدن طبيعيا ؛ بل بين أهل القرى والقرى الأخرى ، لقد تغير الوضع الاجتماعي والمصاهرات .

كانت عيادة صحية ومركز طبي لأهل المخيم أنشأته الوكالة يلتقي فيه أسر وعائلات من مدن وقرى فلسطين مختلفة ؛ كأنهم أهل بلدة واحدة ، لا أحد يفتخر ويستعلي على آخر .. كلهم سواسية في الفقر والتشرد .

يجتمع المهاجرون في عيادة الوكالة في الجامع في المقهى في مداخل البيوت في البيوت نفسها ، ويبدأ كل لاجئ ومهاجر يسرد مأساته ورحلة لجؤه ومعاناته ومعاناة عائلته الكبيرة ، وحتى أهل بلده وأماكن تشردهم في مخيمات اللجوء .

أوجدت الوكالة المدارس للجنسين ، أذكر أني درست سنة في مدرسة الكرامة ، وبعض الثانية

قبل يوم الكرامة عام ١٩٦٨؛ حيث كان الخروج الثاني لأهل فلسطين نحو عمان والبلقاء ؛ حيث مخيم البقعة ومخيمات عمان والزرقاء ، اضطر أهل الكرامة للرحيل أمام القصف المدفعي الإسرائيلي عندما نشط العمل الفدائي وانتقل المخيم إلى مخيم البقعة ، كان المستقر البقعة حتى كانوا يسمون مهاجرة الكرامة ؛ لأنه قد سبقهم بعد احداث سبع وستين خروج عائلات من مخيمات الضفة الغربية ومن أهالي الضفة وغزة شرقا إلى مخيمات الأردن ولبنان .



لم يكمل حسين تعليمه درس ست سنوات ، عمل في الزراعة والفلاحة مع سكان المنطقة أنفسهم أو مع أثرياء البلاد المهاجرين الذين استطاعوا تملك المزارع .

كانت أحداث جسام تحدث وتعصف في بلاد الشام والعرب ، ظهرت الأحزاب القومية الكبرى كالبعث في سوريا ولبنان والعراق ، وحركة القوميين العرب ، الانقلابات العسكرية المتتابعة في سوريا والعراق . أخطرها انقلاب مصر ، وإلغاء الملكية الفاروقية في مصر ، وظهور الزعيم المصري جمال عبد الناصر كبطل عربي كبير ، والذي تصدر المشهد القومي والعربي وظهر المد الناصري ، وظهرت منظمة التحرير كبديل للوطن فلسطين ؛ لأن العالم أعطى الضفة الغربية كجزء من الأردن ، وجزء صغير من غزة لمصر ، وإسرائيل امتلكت الباقي حسب قرار التقسيم ٤٧ ثم استولت على كل فلسطين عام ١٩٦٧ ، كان الصراع السياسي رهيبا وعنيفا في البلدان العربية شبه المستقلة ، الصراع على تصدر المشهد ، الفقر يغمر هذه الشعوب ، الأمية تضرب أطنابها في كل البلدان ، التخطيط لا تخطيط ، الاعتماد على المستعمر ما زال قائما رغم زعم الاستقلال .

معركة الكرامة ١٩٦٧

تعدُّ معركة الكرامة (٢١ آذار ١٩٦٨) أحد المفاصل التاريخية لحركة المقاومة الفلسطينية، إذ شكلت نقلة نوعية للعمل الفدائي الفلسطيني الذي بدأ يعيش عصره الذهبي في الأردن ، كما كانت إيذاناً بسيطرة حركة فتح على العمل الوطني الفلسطيني، وعلى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وقد كان من الواضح أن تصاعد العمل الفدائي المنطلق من قواعد له في غور الأردن قد دفع الكيان الإسرائيلي إلى القيام بهجوم واسع لتدميرها خصوصاً في منطقة الكرامة. غير أن صمود الفدائيين والجيش الأردني وما بذلوه من تضحيات، قد أدى إلى نتائج معاكسة تماماً لخطط الإسرائيليين، إذ وقعت خسائر كبيرة نسبياً في القوات الإسرائيلية، وانكسرت أسطورتها بأنها تملك جيشاً لا يقهر ، كما أدت إلى تصاعد شعبية العمل الفدائي ونفوذه خصوصاً في الأردن، وجعلت الكيان الإسرائيلي في حالة من الحيرة، إذ إن هجماته تزيد العمل الفدائي قوة وشعبية، كما أن سكوته يعطي هذا العمل فرصة للتوسع والتمدد.

تكتسب معركة الكرامة أهمية كبيرة في التاريخ الفلسطيني المعاصر، إذ تعدُّ نقطة تحوّل باتجاه سيطرة العمل الفدائي الفلسطيني ـ وخصوصاً حركة فتح ـ على الساحة السياسية الفلسطينية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية، وقد أدت إلى ترسيخ الوجود الفدائي شرقي الأردن وأعطته زخماً شعبياً كبيراً فلسطينياً وعربياً ؛ كما أسهمت في تكريس خيار حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية ضدّ الكيان الصهيوني، بعد هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال الصهاينة للضفة العربية وقطاع غزة والجولان وسيناء.

أدت حرب الأيام الستة في حزيران ١٩٦٧ بين العرب والكيان الإسرائيلي إلى كارثة كبيرة. فقد مُنيت الجيوش العربية المصرية والأردنية والسورية بهزيمة ثقيلة، واحتل الكيان الإسرائيلي بسرعة خاطفة الضفة الغربية التي كانت تحكمها الأردن ، وقطاع غزة الواقع تحت الإدارة المصرية ، وبذلك استكمل احتلال باقي فلسطين وفق حدودها الحديثة التي وضعت في أثناء الاستعمار البريطاني ، كما احتلت شبه جزيرة سيناء المصرية ، والجولان السورية ، كما أدت

الحرب إلى تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني انتقل أغلبهم إلى شرقي الأردن، لقد كانت حرب ١٩٦٧ صدمة كبيرة للشعب الفلسطيني والشعوب العربية التي انتظرت بفارغ الصبر طوال ١٩ عاماً (منذ ١٩٤٨) ما كانت تَعِدُ به الأنظمة العربية من القضاء على الكيان الإسرائيلي، ولذلك أضعفت هذه الحرب الثقة بالأنظمة وجيوشها وبحاكم مصر ، وسعى الفلسطينيون إلى أخذ زمام المبادرة بأيديهم، وعدم انتظار تحقّق شعارات الوحدة طريق التحرير وقومية المعركة التي كانت سائدة من قبل، فضلاً عن انحسار الآمال تجاه جمال عبد الناصر لتحقيق الوحدة والتحرير، وتكرست بشكل أكبر الهوية الوطنية الفلسطينية، وتطلعت الأنظار إلى المنظمات الفدائية الفلسطينية كبديل أفضل، وقد قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح بإعادة ترتيب صفوفها في الضفة الغربية وقطاع غزة، وأعلنت انطلاقتها الثانية في ٢٨ آب ١٩٦٧ في بيانها الخامس والسبعين ، وحسب مصادر فتح نفسها قام مقاتلوها خلال الفترة المتبقية من عام ١٩٦٧ بـ ٧٩ عملية عسكرية، أدت إلى قتل وجرح ٢١٨ صهيونياً. وقد أصبحت فتح ـ في تلك الفترة ـ العمود الفقري للمقاومة في الوقت الذي أخذت تتشكل فيه منظمات فدائية أخرى شاركت بدرجات متفاوتة في عمليات المقاومة.

وقد دفع الفدائيون بنحو ألفٍ من عناصرهم إلى الضفة والقطاع ليقوموا ببناء التنظيم السري والقواعد الارتكازية، وكان على رأسهم زعيم فتح ياسر عرفات الذي تولى إعادة تنظيم المقاومة في الضفة الغربية بنفسه ، ولكن يبدو أن هذه المحاولة لم تنجح في إنشاء أيٍّ من القواعد الثابتة، بالرغم من الجهود المضنية التي بذلها الفدائيون، إذ إن الإجراءات العسكرية والأمنية الصهيونية العنيفة أدت إلى مطاردة مئات الفدائيين، واستشهد ما يزيد عن ستين فدائياً، واعتقل ألفٌ آخرون ، وقد أدى هذا إلى توجه الفدائيين إلى إقامة القواعد الثابتة في الضفة الشرقية لنهر الأردن وأخذت القواعد السرية القليلة التي كانت موجودة شرقي غور الأردن تبرز إلى العلن في مطلع ١٩٦٨، في الوقت الذي أخذ فيه كثير من الفدائيين المطاردين في الضفة الغربية بالانتقال إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن، وقد أدخل ذلك العلاقة بين الأردن والفدائيين في مرحلة جديدة،

كما لفت أنظار الكيان الإسرائيلي لضرب القواعد الفدائية في شرقي الأردن مما صعَّد من احتمالات المواجهة مع الجيش الأردني، والقيام بهجمات انتقامية ضدّ مدن الأردن وقراه، وضدّ بنيته التحتية والاقتصادية.

وقد لاحظ تقريرٌ للمخابرات العسكرية البريطانية في الشرق الأدنى أنه منذ حرب ١٩٦٧ حدثت زيادة كبيرة في أنشطة الفدائيين وفي عدد منظماتهم، وأشار إلى أن معظم العمليات الفدائية كانت تتم قبل الحرب من قطاع غزة وسورية، ويمرُّ الفدائيون أحياناً من لبنان أو الأردن، ولكن كل العمليات ضدّ إسرائيل بعد الحرب تمت عبر الأردن، ونتيجة لذلك كانت معظم انتقامات الإسرائيليين موجهة ضدّ الأردن.

وبينما كان الكيان الإسرائيلي يطارد العمل الفدائي في الضفة الغربية والقطاع ؛ فإنه كان ينظر بقلق إلى نمو وتجذّر قواعد الفدائيين في شرقي الأردن، وإلى الدعم الشعبي الذي يلقاه، بل وتغاضي أو دعم عناصر من الجيش الأردني للفدائيين، فضلاً عن دعم وحدات الجيش العراقي المتمركزة في الأردن. . أعلن في ٤ كانون الأول ١٩٦٧ أنه منذ حرب الأيام الستة ؛فإن قوات الأمن الإسرائيلية قبضت على ٣٠٠ فدائي وقتلت ٦٠ آخرين.

وتقع قرية الكرامة في الجزء الشرقي من غور نهر الأردن وهي عبارة عن منطقة زراعية منخفضة جغرافياً اشتهرت ببساتينها الكبيرة وخضرتها الدائمة وكانت تسمى بمنطقة الآبار وذلك لكثرة الآبار الارتوازية فيها، وتسمى أيضا بغور الكبد باعتبارها جزءا من منطقة زراعية واسعة وتعتبر هذه المنطقة سلة الغذاء الأردني ، ويعتمد ٩٥٪ من سكان هذه المنطقة على الزراعة ، وفي مطلع سنة ١٩٦٨ صدرت عدة تصريحات رسمية عن إسرائيل، تعلن أنه إذا استمرت نشاطات الفدائيين الفلسطينيين عبر النهر ؛ فإنها ستقرر إجراء عمل مضاد مناسب ، وبناء عليه زاد نشاط الدوريات الإسرائيلية في الفترة ما بين ١٥– ١٨ مارس ١٩٦٨ بين جسر الملك حسين وجسر داميا وازدادت أيضا الطلعات الجوية الإسرائيلية فوق وادي الأردن تمهيدا للهجوم الواسع قامت إسرائيل بهجمات عديدة استخدمت بشكل رئيسي القصف الجوي

والمدفعي، على طول الجبهة الأردنية طوال أسابيع عديدة سبقت بداية المعركة ، لقد وعيت هذا القصف والترهيب ، وكنا نغادر المدارس فور بدء القصف ، ونسير قرب الحيطان ويفزع الكبار لأخذ أبنائهم من المدارس ، وكنا نرى الطائرات العسكرية وهي تلقي قنابل النابالم وغيرها لإرهاب الناس والخروج من البلدة ؛ فخرجنا سيرا على الأقدام إلى جبال البلقاء نحو عمان ، وهجر المخيم كما مهدت إسرائيل لذلك بإجراءات واسعة النطاق في المجالات النفسية والسياسية والعسكرية عمدت بواسطتها إلى تهيئة المنطقة لتطورات جديدة يتوقعونها كنتائج لعملياته العسكرية شرقي نهر الأردن ، وقد أعلن الكيان الصهيوني أنهم قاموا بالهجوم لتدمير قوة المقاومة الفلسطينية، والقضاء على حلم العودة لدى الشعب الفلسطيني.

بدأت معركة الكرامة عند الساعة ٥,٣٠ من صباح يوم الخميس ٢١ مارس١٩٦٨ ، واستمرت ست عشرة ساعة في قتال مرير على طول الجبهة، قام الجيش الإسرائيلي بشن هجوم واسع في منطقة نهر الأردن من ثلاث أماكن ، جسر داميا وجسر سويمة وجسر الملك حسين حشد الجيش الإسرائيلي لتلك المعركة اللواء المدرع السابع ، واللواء المدرع ٦٠، ولواء المظليين ٣٥، ولواء المشاة ٨٠، وعشرين طائرة هيلوكوبتر لنقل المظليين وخمس كتائب مدفعية ١٥٥ ملم و ١٠٥ ملم، بالإضافة إلى قواته التي كانت في تماس مع القوات الأردنية على امتداد خط وقف إطلاق النار، وسلاحه الجوي الذي كان يسيطر سيطرة تامة على سماء وأرض المعركة، بالإضافة إلى قوة الهجوم التي استخدمها في غور الصافي، وهي كتيبة دبابات وكتيبة مشاة آلية وسريتا مظليين وكتيبة مدفعية، تم حشد هذه القوات في منطقة أريحا، ودفع بقوات رأس الجسر إلى مناطق قريبة من مواقع العبور الرئيسة الثلاثة، وقام بإنزالات جوية قرب الكرامة .

لقد لعب سلاح الدروع والمدفعية الأردني دوراً كبيراً في معركة الكرامة وعلى طول الجبهة وخاصة في السيطرة على جسور العبور ما منع الجيش الإسرائيلي من دفع أية قوات جديدة لإسناد هجومه الذي بدأه، وذلك نظراً لعدم قدرته على السيطرة على الجسور خلال ساعات المعركة، وقد أدى ذلك إلى فقدان القوات الإسرائيلية المهاجمة لعنصر المفاجأة، وبالتالي المبادرة،

وساهم بشكل كبير في تخفيف زخم الهجوم وعزل القوات المهاجمة شرقي النهر وبشكل سهل التعامل معها واستيعابها وتدميرها، وقد استمر دور سلاح الدروع والمدفعية الأردني بشكل حاسم طيلة المعركة من خلال حرمان الإسرائيليين من التجسير أو محاولة إعادة البناء على الجسور القديمة وحتى نهاية المعركة.

طلبت إسرائيل ولأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي وقف إطلاق النار في الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم المعركة ، خسائِر الجيش الإسرائيلي فقد كانت فادِحة إذ بَلغ عدد قتلاهم ٢٥٠ جُنديا ، وجُرِح ما يُقارب ٤٥٠ جُنديا ، قد خَسِر الجيش الأردني ١٣ دبابة و٣٩ مَركبة مُختلفة، أمَّا عن الجيش الإسرائيلي فقد خسروا ٨٨ مَركبة، و٧ طائرات مُقاتلة، الفدائيون قاتلوا ببسالة نادرة وقدموا حوالي مائة شهيد ، فقد اشتركوا بكل بطولة وبروح معنوية عالية ، وقدموا تضحيات كبيرة حيث اشتبكوا مع الإسرائيليين في الكرامة بالسلاح الأبيض واستبسلوا وأبلوا بلاء حسنا، ويقول صخر حبش : إن إقدام إسرائيل على عبور نهر الأردن للاشتباك بمقاتلينا في الكرامة والكريمة، اللتين كانتا تكتظان بالفدائيين، وكان يقطنهما أكثر من ١٠٠ ألف لاجئ فلسطيني قبل شهرين من المعركة وقد هجرتها الجماهير بعد سلسلة القصف المتواصل بهدف الترحيل ، وكان من الطبيعي أن لا يتبع الفدائيون الهجرة مع المواطنين، لأنه في ذلك تكون النهاية؛ لذلك فقد اختارت الحركة المجازفة بعد أن اعتمدت على أن الموقف الوطني والقومي للجيش الأردني لا يمكن أن يقبل ويسلم بعبور القوات الإسرائيلية نهر الأردن لتضرب قواعد الفدائيين والقوات الأردنية في شرق النهر ؛ لتكون هناك هزيمة جديدة تضاف لهزيمة حزيران. واستطرد صخر حبش قائلاً: قبل أيام نشر قائد فرقة المظليين الإسرائيليين التي أنزلت خلف الكرامة على الجبال والمؤلفة من ٧٠ مظلياً، كانت مهمتهم الأساسية قتل الفدائيين، وكانوا يعتقدون أنهم سيهربون من الكرامة، أو يؤسرون، تحدث قائد الفرقة عن الخطة وقال : إنه وجد نفسه بين نارين، نار الفدائيين المتمترسين في مواقعهم ونار الفدائيين الذين قاتلوا كل القوات التي هاجمتهم، والمفاجأة الأكبر كانت مشاركة الجيش الأردني

بمدفعيته الأمر الذي أذهلهم ويتحدثون الآن عن أضعاف أعداد الإصابات عما اعترفوا به في حينه. وأضاف غنمت المقاومة بعض الدبابات الإسرائيلية، وخسرت إسرائيل ثمانية وعشرين جندياً كما أن بعض الجثث ظلت في ساحة المعركة، وبعد انسحاب القوات الإسرائيلية بدأت احتفالات فلسطينية بالنصر وامتدت إلى ساحات العالم العربي، وظهر اسم ياسر عرفات علناً بعد أيام على معركة الكرامة بصدور بيان رسمي عن اللجنة المركزية لمنظمة فتح يخول ياسر عرفات بإصدار البيانات باسم حركة فتح وأن يكون المتحدث الرسمي لها، وهكذا بدأ ألوف من الشباب الفلسطينيين في التدفق على قيادات ومعسكرات فتح في الأردن وفي بعض الدول العربية الأخرى، ولم يشكل مقتل أكثر من مئة من مقاتلي حرب العصابات في المعركة عائقاً أمام نشوء أسطورة الكرامة.



حياة اللاجئ

حياة بائسة تغمر سكان البلد الأصليين ؛ فكيف الهاربون واللاجئون واللاجئ الفلسطيني ؟!

فرص العمل ضعيفة وهشة يوما بيوم تسمى مياومة ، الزواج هدف كل شاب ، فهو يشتغل ليلا ونهارا ليكون زوجا وأبا ، وحسينا كسائر الناس يرغب بالزواج ، تزوج حسين من امرأة تعيش غرب النهر من مخيم الجلزون الكائن في رام الله تزوج امرأة من أهل بلده عنابة ؛ لكن من أسرة أخرى ، أهل البلد الواحد يحبون ويحرصون على مصاهرة أهل بلدهم قبل تغريب النكاح من بلدات وعائلات أخرى ، وتزوج يوسف من نفس الأسرة العائلة .

مارس حسين الأعمال الحرة في الزراعة ونقل الزبل والحصيد للقمح في موسمه ، وهذا المتوفر في الغور الأردني ، وكان التصييف في عمان والعمل فيها كعامل بناء رصف شوارع تحميل زبل للفلاحة ، سافر يوسف مدرسا للعربية في السعودية على شهادة الثانوية العامة .

نشط العمل الفدائي في المخيمات بظهور الحركات الفلسطينية المسلحة كفتح وجيش التحرير والفصائل الأخرى ، كثرت الحركات المسلحة في الأغوار ، بعد هزيمة النكسة وخفوت صوت ناصر والقومية والاشتراكية العربية ، وكانت العمليات لفدائيي الغور زادت بعد هزيمة الجيوش العربية وضياع كل فلسطين وأراضي من سوريا ومصر كما روينا بعض ذلك.

أصبحت الكرامة مرتعا لها ، فتعرضت للدك والمدفعية الإسرائيلية ، هرب الناس والأهالي نحو جبال السلط وجبال عمان .

لا أحداث شخصية مهمة في حياة الشاب حسين ، فهو شاب وديع معيل لزوجة وأطفال وأم وأخت ، كانت معركة الكرامة سنة ثمان وستين في شهر آذار ، وانتهى بها مخيم الكرامة كمخيم أصبح مرمى وهدفا لمدفعية اليهود ، هاجر الناس لمخيم البقعة ، اختفى المخيم من قائمة مخيمات الأونروا ، وهاجر سكانه من جديد ، هجرة تلو هجرة .

وهاجر حسين لحي جبل النزهة في عمان الملاصق لمخيم جبل الحسين ، وبعض العائلة لجبل النظيف ، وبعضهم لمنطقة ماركا الشمالية حيث مطار عمان أو ماركا ، وبعضهم لمخيم الوحدات

تفرقت العائلة العنابية في أحياء عمانية، صرفوا نظرا عن مخيم البقعة الذي تحمل رحيل البشر من مخيم الغور الكرامة .

لما رحل السيد الوالد حسين لعمان كان عنده ولدان وابنتان وزوجة حامل وأم وأخت ، وعاد للعيش والسكن في الخيام ، والتنقل فيها بين مكان وآخر ؛ لأنه لم يسكن مخيم البقعة لأمر قدره الله، وحتى ابنيه درسا في خيم زرقاء خيم الأمم المتحدة قبل أن يثبتا في مدرسة ابتدائية في حي النزهة ، ثم يستقر الابن الأكبر في مدرسة مخيم الحسين ، حتى أنهى الابتدائية ويعود لإكمال الإعدادية في المدرسة التجارية في حي النزهة ؛ حيث كان التعليم الإعدادي في الوكالة تجاري وصناعي .

جبل النزهة أو حي النزهة جبل ملاصق لمخيم جبل الحسين ، وهو بين وادي الحدادة ووادي الحسين المخيم ، والمخيم لا وسع فيه للعائلات المهاجرة من مخيمات أخرى ؛ ولكنه يسمح باستلام الأطعمة والمؤن لمن ينقل بطاقته إليه .. فكانت الوكالة توزع الغذاء على اللاجئين حيث مهاجرهم ، وتعلمهم وتعالجهم علاجات أولية، ويحصل اللاجئ على هذه الخدمات بواسطة بطاقة كرت مؤن تصرف لمن تنطبق عليه مواصفات اللاجئ حسب نظام اللجوء الأممي .

استقر حسين بن محمود في منزل الزينكو قرب المخيم ، لأن الوحدات السكنية مبنية من وحدات الزينكو ، ولا يسمح ببناء الإسمنت ؛ لأن الأرض غير مملوكة للأمم المتحدة ، كثير من المخيمات مرت في أطوار بناء وإنشاء ، كانت الخيم أول الانشاء والسكن ، تحولت لألواح الزينكو والصاج ، ثم اللبن والاسمنت ثم الطوابق .

لم تكن في المخيمات بنية تحتية كالكهرباء والماء والصرف الصحي والهاتف والشوارع المزفتة ، ثم دخلتها تلك الخدمات الكهرباء والماء والهاتف والصرف الصحي بدلا من الحفر الامتصاصية.

وأخذ المهاجر حسين يعمل بتأجير نفسه مع عمال البناء في وسط المدينة حيث مركز تجتمع العمالة باليوم والساعة ، وهذا يخيل لي أتاح له تعلم مهنة القصارة ـ وهي طلاء الجدران بالطين الناعم بعد البناء لإخفاء اللبن وقبل الدهان ـ مهنة شاقة ، ولكنها تدر مكسبا لمن أتقنها .

يجتمع العمال البسطاء في ساحات أو شوارع معينة وأسواق العمالة فيأتي المحتاج لأيدي عاملة فيستأجرهم لإداء العمل المطلوب .

تضخم العمل الفدائي بعد الكرامة في الاردن بعد الدعاية الضخمة التي رافقت انكسار اسرائيل وفشلها في تحقيق أهداف العملية ، انتقل الصراع بين الفصائل الفلسطينية وبين الجيش العربي الاردني .

فحدث ما سمي بأيلول الأسود عام ١٩٧٠ ، فكانت المعركة بين الفصائل الفلسطينية ذات التوجهات المختلفة والجيش الأردني ، وصار شرخا بين شعب الأردن الشرقي وشعب الأردن الغربي .

وبعد عام ١٩٤٨ وسحق المقاومة وتهجير السكان، بدأت تظهر فصائل فلسطينية ذات طابع سياسي، وبدأت تستخدم مصطلح الكفاح المسلح للإشارة إلى أشكال المقاومة المسلحة.

عام ٦٤ ظهر كيان سمي منظمة التحرير الفلسطينية ، وبعده بعام ظهرت منظمة فتح ٦٥ ثم الجبهة الشعبية وانشق عنها كيانات اخرى ، انهزمت هذه الفصائل وغيرها أمام الجيش الاردني وخرجت من عمان إلى جبال عجلون وجرش واستقرت في لبنان .

اعتقل حسين لمدة شهر في بلدة طبربور ، ثم أفرج عنه ؛ لأنه لم يكن فدائيا ولا مليشيا فلسطينية لم يكن ثوريا ولا مقتنعا بها كالكثير من الشعب الفلسطيني ، ورويدا رويدا بدأ العمل يعود في القطر ٬وتعافت البلاد من الانفصام والدم الذي اريق على نزاعات شخصية وإن لبس ثوب الوطنية والتحرير .

الذرية تزيد والعمل نفسه ، ولما بلغ حسين الخمسين عمل في البلدية ، أما يوسف فدرس انتسابا لجامعة بيروت العربية وتحصل على الشهادة الاولى ، واستمر معلما في السعودية ..لمدة ربع قرن.

كانت دول الخليج دول النفط العربي في تحرر حديث وجهل وفقر ، فأصبحت مهوى الشباب الفلسطيني والعربي بشكل عام لتحسين الدخل المادي للأسر والعائلات ، فكنت تجد فيها الجنسيات العربية المختلفة .

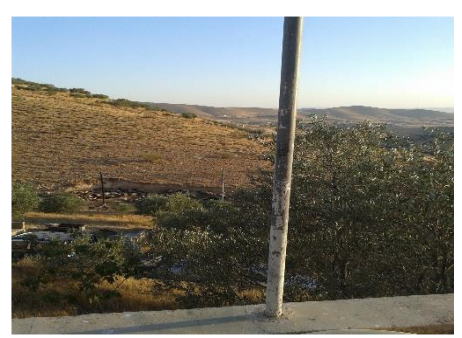
أخبرني السيد العم يوسف أنه قضى في السعودية أربعا وعشرين عاما في التدريس يتنقل بين مدنها وقراها ، وأغلب ذريته ولدت في تلك الديار ، واستطاع أن يبني عمارة في حي ماركا وأن يمتلك مزرعة في مدينة الزرقاء وأراضي في السلط ، وغير ذلك من العقار والارض .

عاد في مطلع الثمانينات وتحصل على ماجستير تربية ودبلوم ثم ماجستير لغة عربية ، وعمل مدرسا بضع سنين في الأردن ، ثم عاد للخليج محاضرا في احدى الجامعات الإماراتية ، ومكث فيها تسع سنوات وخلالها تمكن من الحصول على دكتوراه في اللغة العربية.

وشارك في حملة وإنشاء جمعية أهالي عنابة ١٩٩٢ ، ومثل عائلته فيها لعدة دورات وذلك في مطلع التسعينات ، فكان علما من أعلامها .

وأما حسين فقضى تسع سنوات في البلدية وحصل على التقاعد والضمان الاجتماعي ، ورحل في منتصف التسعينيات من منطقة النزهة إلى ماركا في عمان العاصمة ، ثم رحل للرصيفة ومنها لمدينة الزرقاء المعروفة .

كانت حياته وادعة هادئة طيبة ، وتزوج كل أولاده ذكورا وإناثا في حياته ورأى أحفاده شبانا بفضل من الله تعالى ، الحياة الشخصية لكل فرد ملية بالأحداث الشخصية أو السماعية والكثير منها لا يهم المطلع على هذا الكتاب أو الرواية ؛ فلذلك نوجز في هذه السيرة وفي تفاصيلها الكثيرة فكلا الرجلين تجاوز في السنوات السبعين .



ولكنهم أعزاء على قلبي ، فأحدهم والدي ، والآخر والد أهلي وقرة عيني ، وأنا أكتب للتاريخ والأجيال ، لم تكن رحلة الحياة هينة ، فهي حياة بؤس وشقاء وطرد من الوطن والإلف واقرأ ما قاله شوقي في منفاه:

وسَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القلْبُ	أَوْ أَسَا جرْحَهُ الزَمانُ المُؤَسِي
كُلَّمَا مرَتِ اللَّيالي عَلَيْه	رَقَّ والعَهْدُ في اللَّيالي تُقسِي

مُسْتطارٌ إذا البَواخِر رَنَّتْ	أوَّلَ اللَّيْلِ أَوْ عَوتْ بَعْدَ جَرْسِ
رَاهِبٌ في الضُلوعِ للسُفْنِ فَطْنٌ	كُلَّمَا ثُرْنَ شاعَهُنَّ بنَقْسِ
وطَني لَو شغِلتُ بِالخلدِ عَنهُ	نازَعَتني إلَيهِ في الخلدِ نَفسي

**

وهما مروا بحياة صعبة وقاسية ، صبيان يفارقان ديارهم قهرا وطردا يسيرون في الوديان ويصعدون الجبال ويهبطونها في شدة الحر ، ويعيشون في الخيم ، ويفقدون الطعام أثناء الانتقال من بلدة وأخرى أو يزدحمون لإخذه من المحسنين والصليب الأحمر ثم الأونروا .

هذا وغيره مؤلما ومذلا ، آه ! عندما ترى مشهد الناس عند استلام مساعدات الوكالة ، مشاجرات على الدور والانتقال من مكان إلى لآخر لآخذ عينات من طعام .. إنه لمشهد محزن ومبكي واختلاط رجال ونساء وبنات واطفال .

صراخ سباب قذف ، كنت أتألم منه وأنا طفل صغير .. ذل الحاجة ! ذل الفقر! أبي كان يأخذ المساعدة ـ المؤن ـ بعد الرحيل لعمان من مخيم البقعة التابع لمدينة السلط محافظة البلقاء ، ثم تيسر نقله لمخيم الحسين في عمان فخف المشوار .

أما العم فاعتقد أنه لم يأخذ هذه الإغاثة ، لأنه تزوج ، وعاش ربع قرن في السعودية معلما ، فربما دفعه لأقاربه الأقربين ؛ لأنه الحق لكل لاجيء في الأعطية والمعونة والدراسة تسع سنوات ثم الانتقال لمدارس الدولة المضيفة ، وبعد الثانوية العامة سيجد فرصة للقبول في معاهد الوكالة في البلدان المضيفة وحسب المعدل الثانوي الأعلى .

ثم توقفت الوكالة في منتصف الثمانينات عن هذه الاغاثة لكثير من الأسر ، واكتفت بالعلاج والأدوية والتعليم ، يمكنك أن تقول بئس الحياة تلك الايام !

صبر الناس ، وذاقوا مرارة الفقر والحاجة ، ثم فتح لهم باب التعلم والوظائف والهجرة شرقا وغربا ، وصار بعضهم من الاثرياء والملاك والزعماء والمدراء .. إنها الحياة !

حسين تزوج في آخر الخمسينيات ، ويوسف في مطلع الستينيات، أنجب الأول اثني عشرة

مولودا ، وفقد المولودة الأولى في حياته المديدة بعد وضعها بشهور ، ويوسف نفس العدد ، الأول انجبهم من امرأة واحدة فقط ، والثاني من ثلاث نسوة ، فقد تزوج على كبر امرأة وولدت طفلا واحدا ، والثالثة بعد الانفصال عن الثانية ولدت طفلة واحدة ، وبعضهم هلك صغيرا .. رغم علاقتي الجيدة مع حماي ، لم أعرف سبب طلاقه لها .

اشتغل عمي في التدريس مبكرا ، وفي الخليج ؛ حيث ظهر النفط والتطور والتحديث ، وقضى زهرة عمره في التدريس بين الطلبة والطالبات ، وسيدي حسين كان وحيدا لم يكن له اشقاء وعاش يتيما وفقيرا ، وكان عزيزا وعصاميا ومجاهدا .

في عام ١٩٨٨ تصاهر الرجلان فقد نكح ولده البكر احدى بنات حسين الاربعة ، وتزوج ابن حسين خريف ١٩٩٠ ابنة يوسف الكبرى ، فاقترب الرجلان من بعضهما أكثر وأكثر .

كان نكاحا بسيطا وبمهر زهيد ، والحمد لله رب العالمين ، سافر العم يوسف للعمل في دولة الإمارات كمحاضر في جامعة ، ورحل حسين من اطراف مخيم الحسين بعد ما يزيد عن عشرين سنة من العيش في النزهة ، وقضى بضع سنين في منطقة ماركا الجنوبية، ثم رحل تجاه مخيم حطين في لواء الرصيفة في إسكان الأمير ، ثم استقر في مدينة الزرقاء ، حياة كلها رحيل وتنقل ، وهكذا حياة الفلسطيني المطرود من وطنه وأرضه عليه أن يعيش عائما سائحا لينعم يهودي في موطنه ، سنة ٢٠١٢ توفي الحاج يوسف محمود ـ رحمه الله ـ عن سبعين سنة في شهر آب صباح ليلة القدر ذلك العام ، ودفن في مقبرة شرق عمان في بلدة سحاب أكبر مقابر العاصمة بعد سبع سنوات من السقم والضعف ، وبعده بسنوات ثلاثة ٢٠١٥ لحقه حسين مات بعد غيبوبة لمدة أسبوعين عن عمر ثمانين سنة ، ودفن في مقبرة سحاب رحمهم الله جميعا.



ضريح في مقبرة القرية (أيار/مايو ١٩٨٧) [عنابة]

عنابة فلسطين

موقعها في منتصف السهل الساحلي ، وعلى أول تضاريس الجبال الطبيعية، وتقع على ربوة قليلة الارتفاع شرق مدينة يافا بحوالي ٣٠ كم ، حدودها من الغرب مدن الرملة واللد ، ومن الشمال قرى دانيال وجمزو وخروبة ، ومن الشرق برفيليا وبير معين والبرج والكنيسة ، ومن الجنوب القباب وأبو شوشة وصدون والبرية.



سكانها فلاحون معظمهم يعمل بالزراعة في أرضه المملوكة له ، أراضي البلد تقسم إلى قسمين أرض تدعى شيحا ، وتقع على الجانب الغربي من القرية ، والقسم الثاني يدعى أرض البلد وتقع على الجانب الجنوبي كان الموسم السنوي قسمين شتوي وصيفي ، مثلا شيحا كانت تزرع فيها الزراعة الشتوية ، وهي القمح والشعير والعدس والفول والحمص ، أما أرض البلد فكانت تزرع زراعة صيفيه مثل السمسم والذرة البيضاء وبعض الخضار ، وفي العام الذي يليه تتبدل الزراعة شيحا تزرع صيفي وأرض البلد شتوي.

كان المواطن في عنابة يخصص قطعة أرض لزراعة الخضروات من أجل مؤونته الخاصة، مثل البامية والبندورة والخيار والفقوس والبطيخ والشمام واللوبيا والكوسا والقرع وكان اسمها مقثا كانوا يأكلون مما يزرعون بأيديهم ، يزرعون القمح ويحصدونه وينقونه بأيديهم ويطحنونه دقيقا هكذا كان خبزهم ، وكذلك الخضار كانوا يزرعونها بأيديهم ويقطفونها بأيديهم ويطبخونها بأيديهم بزيت الزيتون أو السمن البلدي.

طعامهم الوليمة الرئيسية المفتول من طحين القمح البلدي ، والثريد عبارة عن اللحم والأرز وفتيت خبز القمح والمحاشي والمطبق بالزيت البلدي والزلابية والمعجنات باللحم أو السلق أو السبانخ والبحتية الرز والحليب والسكر ، والخبيصة والجريشة قمح مجروش يطبخ باللحم ولا

تنسى طبيخ العدس في البوشة داخل الطابون ، وكان اغلب الشجر المزروع شجر الزيتون والتين والعنب والخروب والصبر وبعض أشجار الفواكه مثل المشمش والرمان واللوز.



في أواسط الأربعينات من القرن الماضي حصلت طفرة اقتصاديه كبيرة ، وهي معامل الكلس الشيد حيث استوعبت عدد كبير من العمال والتي كانت تعمل مدة ٢٤ ساعه ، وكان عمال مهرة يقومون بعمل بناء الحجارة بطريقه خاصه داخل المعمل وكان المعمل عبارة عن بناية دائرية يبلغ ارتفاعها من ٨ إلى ١٠ أمتار وسعة قطرها من الداخل ٥ أمتار تبنى فيها الحجارة بأحجام متفاوتة وبطريقه هندسية إلى أن تمتلئ البناية وبعد ذلك يبدأ ضخ زيت الأفيون المشتعل بالنار داخل المعمل بطريقه مدروسة لمدة ثلاثة أيام بلياليها وبعدها تتحول الحجارة داخل المعمل إلى شيد.

أهل القرية أصحاب وأحباب يربطهم النسب والقرابة والمحبة والجيرة ، وسكان القرية عدد من العائلات والعشائر نذكر منهم وهدان، صالحية، عرموش، عبيد، الكسجي، شاهين، الخوار، طمليه، غيث، يحيى، محمود، قطاش، عباس، جابر، أبو عبده، ياسين، حسين حسن، بكر، الصوفي، يعقوب، عوض، جربوعة، صبح، سمارة، عابد، الحلو، الخالدي، الكفري، وعائلات أخرى.

أنشئت في عنابة في الثلاثينيات من القرن العشرين قبل النكبة ١٩٤٨ جمعية عنابة الخيرية ملتقى الشباب ويقوم على رعايتها نخبة من وجهاء وأعضاء القرية ، كانت الجمعية عبارة عن غرفتين أرضية مستقله عام ١٩٤٧ .

جاء إلى عنابة بطلب من جمعية عنابة الزعيم جمال الحسيني زعيم الحزب العربي ، والتقى في مهرجان جامع وحاشد مع الألوف الذين حضروا من المدن والقرى المجاورة ، دعا فيه للتصدي للمد الصهيوني والدفاع عن فلسطين ، ولقى حماسا وتشجيعا منقطع النظير ، وألقى بعض من

أهل القرية خطابات دعوا فيها للمقاومة والدفاع عن الوطن.



كان إمام مسجد القرية الشيخ محمود عبد العزيز الجربوعة، وكان في القرية مدرسة قديمة اسمها مدرسة الشيخ عيسى ، وموقعها شرق القرية على منطقة اسمها العطن ، وكانت المدرسة مكونه من غرفتين الأولى تضم الصف الأول والثاني الابتدائي والغرفة الثانية تضم الصف الثالث والرابع الابتدائي ، وفي نهاية الأربعينات كان مدير المدرسة الإستاد علي حسين بدوان ، فقام بتأسيس مدرسة جديدة تقع جنوب القرية ، وكان اسمها المعدود ، وكانت مؤلفة من ثلاث غرف ، لم يتم فيها التدريس سوى عام واحد فقط وبعدها سقطت القرية.

عام ١٩٤٤ ميلادي ولأول مرة في تاريخ القرية أقيم حفل تخرج طلاب الصف الرابع الابتدائي ؛ حيث دعيت إلى القرية من اللجنة المشرفة على التخريج فرقه موسيقية ، وقامت بزف الطلاب في أرجاء القرية ونذكر بعض الطلاب الذين تخرجوا عمر إبراهيم عبيد، عبد الرحمن مصطفى عبيد، شوكت علي عبيد، يوسف عبد السلام بكر، عمر أحمد أبو عبدو، محمد عبد العزيز غيث، موسى يوسف عبيد، صلاح شكري عرموش، محمد احمد ذيب جوده، يوسف موسى صالحيه، محمود سليم صالحيه، خليل حسن بدوان، حسين محمد زهرة، محمود أحمد عابد، جميل حسين يعقوب، خضر داود جراد، موسى يوسف انعيم، عبد الله أحمد الحاج السوقي، رمضان حسن الكفري، رمضان عودة عبد الحق، نعمان احمد الخوار، مصلح الخوار، عبد الرحمن محمد علي عباس، عمر عبدالله عباس. كان في القرية ٥ مخاتير نذكر منهم عبد الرحمن حسين بدوان، احمد أمين ياسين، حسن محمود عبيد، محمود سليم الكسجي، مصطفى حسنة طملية.

كان في القرية عدد قليل من الدكاكين منها دكان احمد عيسى صالحية ودكان محمد جابر صبح ودكان احمد إبراهيم عدي ودكان احمد قشاشة ودكان آل الصوفي للحلاقة ودكان علي الخطيب

للحلاقة ، وكان يوجد معصرة زيت زيتون على الطريقة القديمة ، وكان يطلق عليها اسم البد، كان في القرية ثلاث بيارات مزروعة بالحمضيات ، بيارة آل ياسين وآل السوقي وبيارة الشيخ محمود يونس شاهين والد عمي يوسف محمود وعمر شاهين ، وبيارة الحاج سليم الكسجي وأولاده هكذا كانت عنابة قبل ١٩٤٨ .










قريتنا ..
هو أنت لاجئ
وهج الحرب
موقعة الثلاثة والعشرين




قريشا . . .

احتلت بريطانيا بلاد الشرق العربي

وسلم الأتراك بيت القدس للإنجليز

ونشط المستعمر الغربي بصهيونية فلسطين

وجلبوا اليهود من كل بلاد العالم

وشردوا آلاف العرب من قراهم

وكانت قريشا من القرى التي نسفت ودمرت

وكذلك كل قرى الرملة واللد

فهذه ذكريات مختصرة عن قريشا